

أخلاق عرب

AMERICAN GEOGRAPHICAL SOCIETY
ORIENTAL EXPLORATIONS AND STUDIES No. 6
Edited by J. R. WOOD

THE MANNERS AND CUSTOMS OF THE RWALA BEDOUINS

BY
ALOIS MUSIL
*Professor of Oriental Studies
Charles University, Prague*

*Published under the Patronage of the
CZECH ACADEMY OF SCIENCES AND ARTS
and of
CHARLES R. CRANE*



NEW YORK
1928

الرُّؤْيُوعَادَاتُهُمْ

للمستشرق التشيكوسلوفاكي ألويس موزل (١٨٦٨ - ١٩٤٤ م)
ترجمة الدكتور محمد بن سلمان السديس

الأحرام السماوية والطقس (-)

يتصور الرولة أن القمر ينظّم حياته. فهو يكتف أنقرة الماء.
وعذب السحب المطرة. ويستقطر المثل النافع على المرعى.
وينبح للنباتات - ولا سيما المعرة مما التي هي حليلة الأهمية للإبل -

النمو والحياة المدبدة

وهو يحود على البدوى المتقل بأمان نسبي وهووع معش
ويتصور البدو. من ناحية أخرى. أن الشمس تتحرق لتدمرهم.
فهي تسرع في إيباس كل رطب. لا من مكونات الأرض وحسب.
بل من النبات والحيوان والإنسان

إنها لتفشي على الحياة معظاها كافة. ويمكن الأعداء من
الغزو. بأن تبس لهم الرؤية الخلية وهي تنظم من الناس والأعنام
المالكة بإحالة الأجساد الميتة سماً زعافاً.

والشمس أتلى فوبة محبلة. ممثلة غبطاً ولأها عقب فهي نوحس
في قلبها غيرة من الحياة بمختلف ألوانها. وتفضي عليها في مهدها

وكانت الشمس (الأنثى) قد عرفها البدو وما فتئت مُسبِّةً بقدر ما كانت غيرةً وشحيرة. أكانت في أي وقت مضى أفسرًا مما هي عليه الآن؟ وهل أنجست ذرية؟ هذا ما لا سبيل معرفته. ولكن الرواية يروى أن لو عادت الشمس قُبْتُ وحملت الأطفال لأصحت في الخال أبرق وأكلم حناناً.

أما القمر فعنّى مناج، معتم بالشاطئ والخبوية، والشمس روحه، لكنه لا بشاطرها عس الزويجة فهو ينفي معها في بحر أيامه وهو قمر. وثول أيامه وهو هلال، من أجل المباشرة الروحية، لكنه غير قادر على إشعاع عواطفها ويصحى القمر تَجَلًّا حادًّا يخوفه منها ومن إصاعه قَبْرته بلا طائل.

لقد اشع في بادئ الأمر عن تلبية رغبات روحه العجوز التي - برغم ذلك - لا يمكن إشباعها. لكن هذا أثار حفيظتها فحدث بينها صراع اقتلع به كل منها عين بذه. وقد ذاك فإن في ذلك النوع من كل منهما فاعمة أو تدياً، ومن كل منها إلى عبه المفقودة. نَحْنُ إلى القمر ليحس إلى الرولة، ونَحْنُ الشمس إليها لتلحق به مزبداً من الصبر. يقول القمر أحياناً: والله لولاك فصحت عبي لا أحلي الصغار بهذا عُمر أبوه. أي: والله لولا أنك اقتلعت عيبي لركت الصبا بطلن صغرة على الصبي في القمراء. فتجبه: والله لولاك فصحت عبي لا أحلي حقاً النّ نُشَوِي رُمُصَابَه أي: والله لولا أنك اقتلعت عبي لعلت الحقة من الإبل (أي الناقة التي بلغت الستين) نُشَوِي في الرمصاء.

وللقمر والشمس عدو واحد، بها عولة شبيهة بالسمة تدعى الحوتة^(١). لقد اصطهدتها مد أمد مدخل في القدم، لكنها مادراً ما أفلحت في حذاعهم وما برحت منى ما بعثت ذلك تمنح فكها، وتحاول ابتلاعهم، فيروعان أحياناً، فلا تخطئ إلا علة صعية منها. لكنها في أحيان أخرى ترددها عضاً ولحماً. لكن الشمس من الحرارة والفرال حيث لا تستطع حتى الحوتة هضمها فتضيقها بسرعة دون أن يمسها مكروه. لذا فالرولة عاصون لأنه حتى الحوتة لا تستطع أحبصهم من الشمس القائلة: أما القمر فإنه حادّ به حقّيون. وإذا ما لاحقوا أن الحوتة قد عصته، إبان قوتته، فإن معط الضربات تضطرب، ويسعث الرجاء والسرة خارجين من البيت مسرعين لتجدته.

النساء بصري قدرهن الحاسبة. والرجال بلوحين برماحهم. ويشهرون سيوفهم في الهواء. ويطلقون العبارات النارية. ويصبحون بصوت واحد: «يا حونة! أطلني الفضا!»، فإذا لم يُجِبْ ذلك ناعاً. فغر الرجال على صهوات حياهم. والنساء على الرجال. وانطلقوا جميعاً نحو المكان الذي تهدد فيه العولة القمر. وهم حتى الآن ينحون دوماً في إنفاذه. لكنهم ما فتئوا يمشون انصار الحونة. ولهذا السبب فإن لكل حي: «قياً ليلياً لا يحصر واحبه في حراسة الممتلكات وحسب، بل وحراسة القمر ولي» نعمة الرولة أيضاً.

وحسب البدو يتوزع شديد أيضاً في الليلة الأولى التي يبل فيها الهلال (ليلة السر) لأن القمر لا يرى في تلك الليلة في شرف أو غرب. ويتطلعون في اليوم الثاني تجاه غربي السماء ليلفة أملاً في اكتشاف ولو جزء صغير. في الأقل. من دائرة ولي بعضهم القمر المزيل (القمر من فرصه) فإذا رأوا الهلال أراه بعضهم بعضاً. ورفضوا أيديهم إليه صائحين: «يا هلال. يا سبد. يا سعيد. يا عر الهلال. يا اللي فككتنا نهلي زل فكتنا نهلي حل». ومعنى الجملة الأخيرة: يا من سلمتنا في هذا (الشهر) الذي زل أي (مضى). ندعوك أن نسلّمنا في هذا (الشهر) الذي حل.

ولا يعرف الرولة معرفة مؤكدة أبدأ كم ليلة مضت على الهلال. وإذا نباحوا في ذلك نشاجروا. ثم اضطروا إلى التسليم بما يقوله أكبرهم سناً وأكثرهم تجربة. لكن الثقة في كبار السن تضعف جبلاً بعد جبل. فالشباب أذكاء. ولا يعيرون نصائح آبائهم وآراءهم آذاناً صاغية. ومن هنا جاءت شكاية أم مسن لابنه بقوله: «يا ولدي بطلع جبل واني، بقول للهلال ابن ثاني». أي: سيأتي جبل عاصري يقول: إن الهلال. وهو في ليلته الأولى، في ليلته الثانية!!

ويصيف جاره: «بطلع جبل مدفع. ليا عزمته ما يروى وما يشبع، ولما تحبته ما يفرغ» أي: سيأتي جبل عند، إن دعوته إلى مأدبة فإنه لا يرنوي من شراب. ولا يشبع من طعام. وإن استجذت به لم يشجرك!

ويكون البدوي أسنغذ ما يكون في الفترة من الليلة الثامنة حتى الثامنة عشرة. لأن القمر. في هذه الليلي، بظل حياً حتى تطلع الشمس (تطلع الشمس والقمر حي).

وتُدعى هذه الليلة «البياض» (لَيْلَ الْبَيْض). فلا يمكن فيها رؤية البدوى من بعيد. ولا مهاجته بعثة من قريب، لأنه يرى أحد من مرمى التدفئة واستناء من الليلة الثامنة يستطيع النوم فرير العين. ومن الليلة العاشرة فما بعد لا يكون مضطراً لجمع إبله الباركة منتشرة حول بيته هنا وهناك (ليلة ثمان نم بامان. وليلة عشر لا تَرْدُ النَّسْر). فلا مكان في هذه الليلة. نرك ناز المسافر الوحيد متفدّة. وفي العازات الحربية لا حاجة لتدبيل لينير الطريق، فلا غرو، والحال هذه. أن ينمى الشاب الغنيّ قاتلاً: «أَسْمَى إِنَّ اللَّيْلَ أَفْر». والرّوض أحضر. وأنا حيّ لا أزعرو ولا أكبره أي: أريد أن يظلّ الليل مُفْرّاً كل ليلة. وأن يظلّ الرّوض دائم الانعصرار، وأخلّ أما حباً ودون أن أكبر أو أصغر. ولكن يبدأ الشر في المحي. بعد الليلة الثامنة عشرة. فالمصوص يحوسون حلال المحي. ويغترق الأعداء المكان. وتُرى النار القصبية من بُعد شاسع. ويخطف الحطر بالقاصي والداني. هذا إن التحذير يُسمع المرة تلو المرة: «ليلة عشرين احصط مالت با مسكين». إن ظلام الليل الهيم لبعثة أفئدة الأرفين بالرهبة يحاذرون باغتاف: «الله يكلمنا شرّ الظلم والطغمان»^(١١).

وفي الشتاء يعبر القمر كبد السماء. بينما يظل في طرفها صيفاً مع يطين السّاء. وثقلتي الشمس وحجها فوق الرّوس تماماً.

ويقسّم البدو الزمن إلى فترتين: إحداهما عندما يحكم القمر. والأخرى عندما تحكم الشمس. الأولى تدعى «الليل» وتدعى الثانية «النهار»، ويؤلفان معاً يوماً ذا الساعات الأربع والعشرين (يوم). والبدوى على أبة حال. لا يستعملون هذا الاسم. فهم يذكرون الليل أو اللّيل فقط. أما النهار. حكمه الشمس. فبعد ناعاً ليل الذي يبدأ غروب الشمس، وينتهي بطلوعها، ويسمى وقت غروب الشمس «المغرب» وأول الليل «العشاء». وما بين غروب الشمس وانتشار الظلام «الغيم». ثم يحيى «الغيم» الأخير، وأخيراً منتصف الليل «نصف الليل». وما بين منتصف الليل وشروق الشمس هو «تالي الليل». ثم تأتي «شفة العمود». أو حين تبدأ حمة الصباح في الارتفاع فوق الأفق المظلم وأخيراً الفجر «طلعة الحار» - بفتح الحاء - ويدعى وقت شروق الشمس «الصّبح». والوقت الذي ترتفع فيه الشمس وتحفّ التدي. أو تكون في منتصف الطريق بين الشروق والظهر هو «الضحى». ثم الظهر. وتليه «الغايضة» أو «صكة

المعنى: وقت الفيولة^(١٣). وما كان نحو منتصف الوقت بين الظهر والغروب فهو العصر. ثم يأتي «العصر».

وليس تقسم اليوم إلى ساعات معروفة. يستعمل الرولة كلمة «ساعة» لكن بمعنى: «على التو. أو: «حالاً». أو: «بعد دقيقة.. مثلاً: «أشعل النار ساعة. أي: مباشرة وأيام الأسبوع لا تعد. فإن «شيوخ» لا تعني سعة أيام وحسب. بل خمسة أو. حتى. سعة أيام. أو أكثر.

ولا يعلم الرولة هل الشهر ثمانية وعشرون يوماً أم ثلاثون. ولا بالون بذلك. لأنهم يعدون الليالي وحسب، وليس لديهم أسماء معينة للأشهر كل على حدة، لكن «خار» العد الأول للأمر التوري أصر على أن الأشهر المتتالية تسمى على هذا النحو:

عاشور - صفر - الأربعة الأشهر الثمانية^(١٤) - العرا - القنبر - رمضان - شهرا الأقطار - وأخيراً: الضحية.

لكن لا أحد من عامة البدو، بل ولا من شيوخ العشائر الشبان، يعرف هذه الأسماء كلها. وكل يعرف «رمضان» و«الضحية» وكل يستطيع ذكر بعض باقي الأسماء. لكن دون معرفة التسق.

ويبدأ العام بالحرب حين ينكسر كل عود (يقطع العود). وتلك أمانة على كونه تام النشوة واليس. ثم بطل البدوي يترك متطعاً إلى العيون منتظراً المطر والعام الجديد اللاحق.

● العيون والمطر ●

اغلال هو الذي يجلب المطر. فحلماً ينهي موسم المطر بمنص الغلال الماء من البحر العظيم في فطرات متناهية الصغر بحيث تستطيع الفضاء حرق مائة منها دفعة واحدة. ويضئ اغلال هذه الفطرات صفوفاً مائة، وبصرغ منها أغرة وسحباً خفيفة (غم) في موضع ما بعيد في الغرب - في (الخضراء). أو تونس. كما يظن بعض الناس.

ثم لا يكاد سهيل يبدو في الأفق في الخريف (والخريف مستخدمة بمعنى

«خريف». حين لا يكون لدى البدو ماء فيه . ولا مرعى للقطعان ماشيتهم . حتى يرسل الله الملك إلى الغرب الأقصى (أقصى العرب) يأمر الملك الفطرات أن ينثر بعضها مع بعض . وهكذا تألف السحب الداكنة (سحب) . فبحرها إلى الشمال حيث يصفدها بالسلام . ثم يقبض إلى هذه السحب سحباً صغيرة (عبر) أكثر فتصحب السحب كيفية (بحضج) . وأخيراً ينفثها (يشلقها) أمامه وهو قاص على العصا (المحان) الذي يسوق به مضته . فوق أراضي الروثة وعبيده من البدو . ويأمرها أن تسقط أمطارها على الصحراء التي سقفتها الشمس بأشعتها . وإن قاومت أمة سخابة هذا الأمر صر بها الملك (محمداً) مخدناً البرق والرعد .. فتتحل السحابة الوحلة عندئذ عن كل ما تحمله من مياه . ثم تتبدد وتلاشى . لكن ما كلاً بارقة غود عائلها . وأحب الغيوم إلى البدو ما يسمى «سحب» و«برق» . و«السحابة» أو «السحاب» هي سحابة رمادية كثيفة بصغر لونها . في الغالب . فلا تتبدد حتى تمطر (لما رُقُضَتْ نَقُضَتْ) . و«المرثة» : سحابة صغيرة بيضاء أصلاً . تنضم إليها سحب كثيرة أخرى شبيهة بها (يتفازعن) . فتضع السحابة الكثيرة النابعة عن ذلك . ونسوة بعض أجزائها . وتلمع البرق في حواشيها . وترجر بالرعود . ثم تنثر مطراً غزيراً (ضعت) . يقول البدو عادة : «أنت مرثة الغراء التي عشنا حلالها . وأهلك بك حلالين حلية الأرض سلاها» أي : أنت أبينا المرثة الغراء التي قد أدهشتنا مطرها ! أرحب بك زحجين كنزحب الأرض بثلثها

وإذا أمطرت السماء بغزارة انبج البدوي وقال : «هلل المطر هلل ! سبيلت الدنيا ! وإذا ربي المطر منافقاً» عن بعد . قال الرجال : «استهلّت الدنيا أي : لقد صل العالم من أجل مطر وفير وأفلح في صلاته» .

وتسمى ريحة المطر التي تسر قلباً فقط «زغاشبة» أو «مرهاش» . والمطر الوفير الذي يسقي منطقة صغيرة من الأرض «هملون» و«جمع» «هامل» . وإذا كان المطر كثيراً على منطقة واسعة سُمي «دبه» .

وقد يخطر السحاب أغزر مطر . لذلك قد يسمع المرء عائلاً قومه : «سحاب» «سحاب» .. يرمي على روس الحزوة اكتشاش أي : السحاب نهابٌ يلقي على قم النلال مزحاً من الخصى والحصاء .

والظفر الشديد اللمعان يعرف الزينة الحصى الصاحبة للسانات المختلفة من الروابي
العالية ذات الشقوق المنسوجة. ولا يبنى هناك سوى أحجار كثيرة أحجامها متنوعة لا نجد
البحر بينها إلا نزرًا يسيرًا معزلاً من العشب.

ويصف البدو السماء المظلمة بالعمرة ثليلاً تليلاً تليلاً تأماً بأنها «مُطَوَّنة». والسحب نصف
الشفافة الشبيهة ببيوت العاكس تعلقة تحت السحب الكثيفة العليا هي السحب الممطرة
«رَوَّبات المَطَر».

والسحب عن بكره أنها تضع أمر الله (سبحانه وتعالى). وهو يرسل ملكه إليها.
فبمسك بعضاً (محمداً) يده. ويثب السحب على المسير، ويصبح بها. ويصير
العاصبات. وصريه «المحمان» هي درب اليرق المتعرج «عُقْرِيَّة». والصباح والعصر هما
مرمى الرعد الذي يسمع على مسيرة يومين (تفصل خلافاً مائة كيلومتر). وإذا دنا الرعد
(لما ارعدت السحابة) فإن البدوي يصبح في نوح مستبهر للمطر: «اعْبِر يا كرم! يا
زِين الوَحْي!». أي: أثبت لنا مرمى جيداً يا كرم! ما أحمل الصوت!

ومع كل ومضة من ومضات البرق يهتف البدو: «عَرَّك يا عزيز الوجه!». أي: ما
أَعَرَّك يا عزيز الوجه!

وإذا أصاب (أَنعج) البرق شيئاً ما حول الحلي فإن البدو يحشون أن شيط قطع من
السحاب وتدهبه. ولذلك يصيحون: «إِرْقِع العَرش عن القَرش يا مانع قُوى! أي:
ارفع السماء عن الأرض يا مانع يا قُوى!

وتنفصل أحياناً قطعة من السماء مؤلفة من نار وحديد، وتسقط على بدوي تقتله
«فلان طاحت عليه المصافعة».

وإذا أمطرت سحب مرتفعة جداً فإن الماء يُعرق بعض الحواري الصغيرة التي يعم
آلافها في الحبر في الليالي الباردة بتقدي كل نحر منها انفاد الخمرة. وإذا أصابها المطر
انطلقت. وأخذت تُهسّس ثم نثشت. وسقطت على الأرض، وهي تصرخ أثناء
سقوطها طالبة الباردة. وبشيء مثل هذا النجم الساقط في الصحراء أهدوداً (مطبخ
النجم) بزواج ضوله بين أربعين خطوة وستين. وينتهي في أفضاء.

وأُتي شخصٌ بلاحظ سقوط نحره فإنه يبتلع في الحال مسرعاً مغزياً ملأى بالفاء إلى مُحْتَبَتِهِ، ويصب عليه الماء. ويُهيل عليه الرمل والخصياء. وبتنظر عاماً كاملاً. وبعد انقضاء تلك اللذة يزج الرمل والخصياء. ويخرج النحر. ويذهب به إلى صاحبه سيوف حاذق قبذيه وبطرفه. ويضع منه شيئاً ذا حدٍّ واحد نصل قيمته مائة ليرة تركية (٤٥٠ دولاراً).

وحين يبدأ السحاب في التلاشي مع وجود الريح والبرد فإن الرولة يدعوى فالتين: «يا مَنْ يرسل للسحاب، يرسل له لمان أو كساب. وَيَقُولُ لَهُ عَطَوْبِي» أي: يا مَنْ يرسل (الملائكة) إلى السحاب! أو رسل له (ملائكة) على ركاب لمان. وقال له: «عطاء (الله) سيطل.

وإذا نشر الله الرحيم السحب لكن لم يسطر من المطر سوى قطرات قليلة. فإن البدو يتدنون (حظهم) فالتين: «مِنْ عَفْهِ غَدْبَا الدُّعَاب. مثل خصاص السراب. غُفَّ اللهُ مَا حَنَّاشِينَ» أي: من بعده (أي هذا المطر) ففدنا ما كان قد جلب لنا الذهب. (لقد ففدناه) كخصاص السراب، إننا لسنا شيئاً بدون الله (أي لا نستطيع عمل أي شيء دون عون الله).

ولو زل المطر غزيراً لوه للإبل مرعى طيباً، والإبل التي تخطى مرعى طيب ناع علي «غُفِّلَ» بالذهب^(١٩).

وبدئ ظهور فوس فرح (سبب المنظر) نهراً على انتهاء المطر. وحالاً بجنس تبدأ السحب (كَبَا سَبَفْتُ كَبَفْتُ).

● الفصول ومواسم الأمطار ●

السحب في الصيف كثيرة لكنها غير ممطرة. وفي الحريف فقط يرى فوس فرح صعب (بدء الشمس) إما عن يمين الشمس أو عن شمالها، وهي أمانة لا تخطئ على أن انظر أنت عن قريب. وفي هذا الفصل يأخذ العراف (صاحب السن) عراف عشرة (التصين) مبارك ابن هوبل حفنة ملح. ويضعها أفساماً ستة صغيرة مئة الأمطار الرثية. ويجعلها على

هيئة صليب (صلب) هكذا

	سهلواى	
شبنوى	قروى	صفي
	حوزاوى	

ثم بصطح نرهما . وبسطر ما سبخوه به معوث الله خلال اللبلة المقلعة . وفي الصباح التالي بعشش هو والآخرون الأكواء . والكواء الذي ذاب أكثر ملحه هو الذي سيجود بالمطر الوفير^(٧٧) .

وتبدأ سنة البدو مع أول مطر عرير بعد طهور (سهيل) في أوائل أكتوبر : «طلعة السهيل (كذا) شرقاً» أي : لقد أراتنا سهيل نفسه فتمضي إلى الصحراء الداخلية ! . هذه هي صبة البدو الذين يخوضون خلال الدراي الداخلية بعد أن يبرحوا حدود المناطق المأهولة والمزروعة مع ما يملكون انتحاعاً للمراعي

ومدة سهيل أربعون ليلة . وبعدها الثريا ومدنها خمس وعشرون ليلة (قروى) . ثم تبعها الحوزاء ومدنها كمدة الثريا .

وهكذا فإن لبالي سهيل والثريا والحوزاء نسعون ليلة - ثلاثة أشهر - وهذا الفصل من فصول العام يسمى (الصيفي) ، وهو يوافق أكتوبر ونوفمبر وديسمبر على وجه التقريب . ثم ندخل الشعري (الشعري) ونلبث أربعين ليلة . وهذا الفصل من فصول العام يسمى (الشتاء) . وبعد الشعري بدخل (السالك) ويظل خمسين ليلة ، ولكن في منتصف أيريلنا ينهي حكم النجوم ، ثم بدخل الصيف الذي يستمر حتى مداية يونيو تقريباً . ثم يخلفه الفصل الخاف (القبض) ممتداً أربعة أشهر حتى نحو أوائل أكتوبر .

وهكذا فإن البدوي يعرف للعام فصولاً خمسة : الصيفي : نسعون ليلة (من أول أكتوبر إلى أول يناير) ، والشتاء : أربعون ليلة (إلى نحو من ٢٠ فبراير) . تبعه فترة نسي أحياناً آخره الثاني من «الشتاء» وتنتهي في الرابع من مارس تقريباً . ثم السالك : خمسون ليلة (إلى منتصف أيريل) . فالصيف (إلى أول يونيو) ثم أشهر القبض الأربعة .

ويجهل عامة البدو أي تقسيم للعام غير هذا التقسيم .

وبفس، البدو الأمطار إلى: الوسم، والشئوى، والشك والعسي، ينصص الأول
سها أمطار «السهبلاوى» و«الثروى» و«الخوزاوى» أنى أمطار سهيل والثرب والحرارة، أو
أمطار «الصغرى»، أو الأمطار الخريفية.

وحالما يظهر سهيل بعادر البدو محباته انقاعة في الأودية وفي بطون الشعاب الواسعة
الخافة التي غالباً ما يتجاوز طولها المائتي كيلومتر.

وبعد سقوط أمطار وهيرة في أعالي هذه الأودية يدمع الماء اندفاعاً عصبياً عبر
الفترات، حاملاً معه الغقيات، ومرفقاً الناس وماشيتهم معاً، ومن هنا قيل: «لأيا طلعت
السَّهْل (كذا)، لا تامن السَّيل، وتَلْمَسُ الشَّرَّ بِالْبَلِّ»، لأنَّ الخمر يكون في ذلك الحين
ناضحاً، ولا حاجة للانتقاء.

ويسمى المطر «السَّهْلَاوى» أيضاً «الخرفى» أو «الهزفى».

وإذا كانت الأرض قد نشرت به غماماً، أرض مؤسومةً عليها الخرفى، فإنها تنفتح
عن ورقات النباتات الحولية الصغيرة ذات الحصرة الشاحبة فتظهر هذه الورقات
سرباً في كل مكان وبدعوها الرولة أعشاباً (عشب)، يينا بسمون النباتات المعمرة
بانات عشبية (شجر).

وإذا كان «الوسم الثروى» أو مضر التربا وهيرة أيضاً فإن النباتات تنلع أفصى عوفاً،
ونزعى الإبل عشاً جديداً حتى قبل حلول الشتاء.

والوسم «الثروى» أهم الأمطار كلها، فهو العامل الحاسم للرعي في المستقبل.
وبضمن المطر «الخوزاوى» الوافر المستند على مناطق واسعة عو الأعشاب والأشجار،
وبطرد شبح الجوع، وبأنى أحياناً بعد انقضاء فترة انطر «الخوزاوى» مطر يدعى «التوبع»
في وقت ظهور «الديران»، فبئذ الحصب الذي حلته أمطار «الخوزاوى» على أنه غير كافٍ
وحده لبحل محل تلك الأمطار حُلُولاً تاماً.

ولا بضمن المطر «الشئوى» الذي يسمى «الثفصان» عوفاً جديداً للأعشاب إن لم تكن
قد نبئت بعد أمطار الموسم.

وملحة في السكّر، وحادة في فصل الصيف، أيام كثيرة شديدة الحرارة حتى أن الأعشاب التي تكون قد سفت بعد غطر (الثنوي) تنصرف قبل اكتمال نموها ولكن الغطر (الثنوي) يملأ حرارات كنهه بالماء الصبيّ القوي الذي ينحدر بطء حلال أيام الشتاء وليلاليه الجارده. ويصل. نتيجة لذلك. بقياً مدة طويلة.

ولا يكون مضر السكّر، بفعلاً ما نكس الزمة قد "توت" أمطاراً حريضة ربياً تاماً. لا سيما أمطار حواء. لأن أمطار السكّر في هذه حالة تنسب كلاً من الأشجار والأعشاب سريعاً

وتكاد تكون براهية البدوي ذلك الفصل حصة مصمومة ومع ذلك فإن ماطر السكّر. وإن حاد أضر ما يكون. عسى صليل إحدى إن فصل على أرضٍ بابسة تنقص الرطوبة من أمطار الحريف السابقة. لأن شمس الفصل لتالي (الصيف) احارة سنسبلك كل شيء قد صبح فيه السكّر الحياة

ويؤدي غطر الصبيّ القوي إلى هلاك السانات الناحية. وغذي السانات العمرة (الدائمة الخضرة). ويملاً الآبار. بلا استثناء بالماء

وتصح الأعشاب التي أعتتها مضر نصيب تحرير ووفرة الماء. فتساق سرعة. أولاً حديدة بلربها. ولكن بعد أيام معدودات تمتص الشمس السابعة كل ما فيها من ماء ورواء. وتندوبها أكثر مما لو لم يوقفها الغطر الصبي من مرقدها أما الشجيرات. من الناحية الأخرى. فيها. لتتمتعها بفترة احمرار أطول. فتال رطوبة كثيرة جداً من ماطر نصيب تحرير تمكها من بلوغ نموها التام

إن ووفرة الماء السانات العمرة في الحريف أماره لا تحصى على أن المنطقة المعبنة قد رارتها أمطار صمية حيدة. ولذا قيل: «يا عين الخشيب ترعى الخثلى غفب الصبي!» أي. يا عين ذلك الخشيب (الغزال الصبي) سترعى مرعى الحريف بعد مرعى الصيف.

ويملاً مضر الصيف الوعر أيضاً البرك الطبيعية والمعدأة معاً. لكن لا نلث الصقاع «الدعاليص» ويختلف قروب الديدان أن نعرو مثل هذا الماء. وسرعان ما نعبله كربه

الرائحة وغير صالح للشرب.

● الاستعالات من أهل المطر ●

إن لا تخط الأرض مطر حريمي ومير فإن حطر مذهب (المخل). أو المخطي)
بلوح في الأفق. ولذئمه تؤلف نبات الدو وروحانهم موكباً مع أم عبث. فبئس ثوب
امراف على عصوص ليتألف حليب. وحمله فتاة عذراء على رأس الموكب تطوف من بيت
لآخر معبة:

با أم العبت غببنا	بلي بئبنا راعبنا
با أم الغبت غببنا	من المطر رزبنا
با أم العبت غببنا	من مذ الله مدبنا
با أم العبت غببنا	من الويل انطبنا ^(٨)

المعى.

با أم الغبت أغببنا بلي عاءة راعبنا (أي راعي مواشينا).

با أم الغبت أغببنا من المطر أنبنا
با أم الغبت أغببنا من مذ الله أمذبنا^(٩).
با أم الغبت أغببنا من الويل أعطبنا
با أم الغبت أغببنا من الويل أعطبنا

البيت - ١ - : تدل كلمة «عبث» على مضر يستمر أربعة أيام في الأقل. على أرض
واسعة. بئبنا: عاءة رمادية [دقيقة] رهيدة الخيل. نعر من الصوف. أو من ردىه
القط.

البيت - ٢ - : تريد القنات دعواتهن شيئاً شيئاً من أهل المطر. فبردن في أول
الأمر مطراً يئال عاءة الراعي وحسب. ثم يدعون من أهل مطر بدوه عدة ساعات.

البيت - ٣ - : إذا صب الله سبحانه وتعالى المطر من مكباله. أو إناه المطر. فإن هذا

يعني مضر عربى مدحنا

البيت - ٤ - . ولعل المولى مضر يستمر عدة أجيال، ويمر أراضى شائعة، . معنى
نستعمل معنى . معنى . المعنى

- ١- يا أم العيث أغيبنا دابمُ شُرْكُ باللبنا
- ٢- يا أم العيث أغيبنا دابمُ غجُ غامبنا
- ٣- يا أم العيث أغيبنا وحي المعلن بشلبنا
- ٤- يا أم العيث باثقعنا فنلنا الرزد وصفعا

المعنى

- ١ - يا أم العيث أغيبنا! إن شركَ لَمُنْطَطَّ علينا، معدتُ لنا دأغما!
- ٢ - يا أم العيث أغيبنا! فثمة رباح دائمة فوبة نعبنا! (عما نحمله من نواب وغبار)
- ٣ - يا أم العيث أغيبنا! فشح الغل يتبعنا!
- ٤ - يا أم العيث يا جائعة! لقد قتلنا الرزد وصفعه!

البيت - ٤ - . البرد أضعف من وصته، ويسمع في الصيف غالباً القول برد
اليوم أي: الحر يارد اليوم. ولكن وصفعه لا نستعمل إلا عندما نخبر عن العظمة ربح
الشمال الثلجية الخاف.

- ١- التي نعطبنا بالعربال جعل ولبدة حبال
- ٢- التي نعطبنا بالمخل جعل ولبدة بدخل
- ٣- التي نعطبنا بالحفنة عسى عدوتيه لندفلة
- ٤- التي نعطبنا بالكمنة جعل عبونها الرمفة

المعنى

- ١ - التي نعطبنا بالعربال . جعل الله انها حبالاً
- ٢ - التي نعطبنا بالمخل .. جعل الله انها بدخل (على زوجي).

٣- اني نعتبنا بحسنه عسى ان ندوس عدوها [أي عساه يموت].

٤- اني نعتبنا بأضروف الأصابع . عسى ان نكون عيوبها [بمشاء (كتابة شعر الرموش)].

البيت - ٣- الحفنه: هي قدر ما تمسكه اليد، وقد أمليت . حنبا إلى أعلا وتثبت
أدعه

البيت - ٤- الكفنه: هي قدر ما يمسك فمسه بين الراحة والأصبع واليد مضبوطة.

أزكبنوني الخاشي وأعدوا سكاشي
دفع عبي قد فرغ على الي فارغوني

التمنى

أزكبنوني الحمل الكر. وأعدوا من بقودني
دفع عبي قد فرغ . لبكائي على من فارغوني^(١٠).

الخاشي: حمير لم يبع بعد من حمير ثلاث سنوات. والناقة التي أكرم من نسى
«حاله». يعاقب الحمل البكر من نفض الماء والمرعى . وتعني الفناء من حرى لفقد حببها .
وكل منها سهيلك إن لم يلق رعايه

أزكبنوني نخمرا وأطعنوني نمره الله يقر عمره
يوم هو حصوني

التمنى: أزكبنوني فرسا كُمتنا. وأطعنوني حمرة. أطال الله عمره لأهم حرروني.
إنهم - أي أغاربها - أنقذوها من الموت بأن أعادوا لها عنبها الذي لم يمت عطشا في
الغارة.

با ذيب با طارذ الذهب أطرد هربو الشمال
عبرت غلبا وأبو زبد أغل القصور العمالي

المعنى: يا ذئب! يا من يكافح ربح الخبواب الحارة! اضرب هبوب ربح الشمال البارد لا بد أن قد رأيت «غلباء» وأنها ريده اللذين كانا يسكتان «تقصير العالبة» الذئب لا تقصره الريح عن «تخللها»، ولذلك سمع من الكرم عتي حيث استطاع أن يفص كثيراً لما يتعمق يساكني «تقصير» أخيرة فني رآها

المهبط: الريح الحارة «حمة» التي تهب في العصف من الخواب الشرقي محدثة الكثير من المعاناة، لا سيما للأضفان والنسوة.

الشمال: الريح الشمالية الشديدة البرودة، التي تغطي على التوت والخبواب والمكاشات المشربة كلها وإداهت واستمرت مدة «تعمد العشب»، ومرصت البهائم والباس معاً ولا تأتي الأمطار بعد ربح «العصف» في العصف، ولا بعد ربح «الشمال» في الشتاء والذئب يكافح ربح الخبواب (مهبط: طارده)، ويعب ربح الشمال وينقصها. أبو زيد وحييته علياً: مثلاً قصص حكيم بين الخصم، ويعترض أنها بملكان المدن الحرة في الوقت الحاضر، وأنها عاشا في قصور ترتفع حيطانها المتهاوية على الأفق، على حدود الصحراء

وتقدم هدبة ما من كل بيت للعصابة المرافقت لأه العيش. وبعد أن يترؤن بيوت الشعر كلها يختلفن مع «أه عيش» إلى خيمة صغيرة قد ضربت حايلاً حيث يقنصن أي شيء أعطيته وبأكله. وجسم المعاءة عن الصليب، ثم تعذّن في المساء من حيث أتيت.

● حطب الرخاء، والفاقة ●

إن معطر الورد الوفير، وخاصة المنظر «التروى» أي معطر الثريا ليخمن اللدو - كما قلنا - مرعى غباً من النباتات الموسمية أو الأعشاب «عشبة»، ومن ثم رحاء يدعى عموماً «ربيع». وفي البراري الداخلية لا ندل كلمة «ربيع» على فصل من فصول العام. فسنجد لذلك ترجمتها بكلمة «Spring»: فصل الربيع «كما تفعل حين نتعامل مع المناطق المأهولة والمزروعة».

وبنوع الفلاحون. سكان المناطق المزروعة من الربيع، من عام آخر، ولأنه بدأ
دوماً في الفصل نفسه. فإن الربيع لديهم يعني «فصل الربيع».

إن الملك حزين - كذا - الذي يحكم سحب المطر لا يُكنَّ حباً لبلاد الرولة ولا
للصحراء. ولذا فهو يصفُ أحنجته فوقها لكيلا تمطر إلا على بقع ضيقة هناك
وحسب. أي حيث يترلق المطر من جناحه. وعلافاً ذلك. حين يظفر فوق أراضي
الفلاحين يقبض جناحه إلى حمده فلو إمكانه. فهطل الأمطار في كل ناحية

إن جبرين في رحلته فوق الداربي بصرب السحب ليصطرها إلى الإمبراع الشديد في
حركتها. لكنه يدعها وشأنها فوق الأراضي المأهولة فتطر هناك مطراً غزافاً. وبصر علماء
لقرآن سلوك جبرين فالتين إبه عاصبه على البدو لعدة. تقبدهم بالتعالم التي نقلها إلى
النبي محمد ﷺ^(١).

وإذا لم تشرب الأرض أبة أمطار حربية فلا ربيع إذن «الأرض» التي ما تنوء ما
لربيع. «مخضبة». ويكون «الربيع» أعظم وأطول إن تالت الأرض قسطاً واحداً من مطر
«السحابة» بعد نشرها أمطار الحريف، وتحول السهول قاطبة. وحتى الصحراء. إلى مروج
بيجة. وتعطي في أحاد صروب تتوف الحصر من النباتات القومية والشجيرات المعمرة
كل وادٍ وعمرى ومحدرد عامه. والسهول الكونة من الرمال الدفينة الحمراء كلها. إضافة
إلى الصدوع والمرتفعات. ونفضم الإبل من النباتات الشبهة دون سواها. ونسمن حتى لا
تكاد تقوى على الأكل. وكثيراً ما كان الحليب يسبح من ضروع الخلقات (الوف
الحلائب) المنقلة بالحليب. ونصوف الأفراس ذكورا وإناثاً في ألحش عشب. ويملك البدو
رحالاً ونساء. شيوخاً وأطفالاً من الحليب الحلو والحامض. وشحوم الإبل أكثر مما
يعرفون ماذا يصنعون به. وأكثر من ذلك نجا لديهم الأمل في ربيع مؤكدة من بيع النوق
الفاصلة عن الحاجة. أو المسبة. أو العفينة. المشتري من أغنياء الذين يدفعون أثماناً
طيبة لقاء الحيوانات السبينة.

وفي الأراضي التي بها ربيع «تُرى بيوت الشعر معبرة في شتى الأنحاء. ولوجود كثير
من المراعي الطيبة الغريبة من بيوت الرعاة فلاهم لا يغربون بابهم إلى المراعي النائية.

ويؤخر ماء انظر البارد النقي في كل مخفض. أو صدع في صخرة. أو حفرة في بطن واد. وكل يستحم. وتُصل الملابس. ويُصلى على شئ أنواع الطمبات. ويبرق الشبان في أواسط النهار. وفي المساء. إلى العذارى في فروع الأودية للتوضي. ويستحمون كل على حدة. الفتيان في مكان. والفتيات في مكان. وتُسمع في كل صوب صيحات ابنائهم وأغانيد الموعة. ويُضح في البوت الفطر. والكثاف. والبصل البري الصغير. والحصرات الطازجة. ويُستمتع بها.

واسم الفطر المحلى هو «الهُور» وهي تثبت بعد أمطار الليل الدامي: (يُمطر بالليل وراح يتحلى الموير). ويخرج صباحاً بعد مثل تلك الليلي الرجال والنساء معاً خفاً عن ذلك الطعام الشهى الذي يسمو خير مؤقرب الشرع. بينما تعسل الكثاف الزينة المعتلقة بالرمال، وتكون الأخيرة عند اقترابها من الصبح كتلاً صغيرة شبيهة بالفضعات تسرع من الملتقط. فبقلب الزراب الذي يغطيها عندئذ باليد أو مصاً. ويحمر عن الكثاف. وتُغل عند طيحها بأناء المالح. وتقدم مع الزبدة أو شحم العير. وهناك طريقة أخرى هي خبزها بالماء بعد غليجها قليلاً تاماً.

ولمعة صروب ثلاثة من الكثاف (الفقع): الكما. والزبيدي. والخلاسي. بعد أن جمع بدوي كوماً منها صمغها في بيته حسب أنواعها فالأول: «الكما» لأم التبة. الزبيدي لأم ولبيدي. الخلاسي لرامي! أي: هذه هي الكثاف ستأخذ أم التبة. وهذه «الزبيدي» وسأعطيها أم بيتي. وحبها «الخلاسي» سأبقي لنفسى!.

ويستمتع البدو حباً أي استمتاع بالبصيلات الصغيرة لبعض النباتات البرية وخاصة الطبطة. والزنبلة. والكراث. إلخ. وتبحث الأمهات بينهن للبحث عنها بقولن: «عالي يا عبال الطبطة». وتعط لكم مطبته أي: يا بيتي الصغار أحضروا لي الطبطة وسأعطي لكم مطبطة (صدام من البصل البري المدفون).

ويسمو «السمح» بأصنافه المتفرعة منه: «الدعاع» و«الحواء» في السهول التي شونها الشمس شتاءً. والمدعوة «الحمادة» في سة الحصب. وإذا بصحت هذه النباتات وكانت مازال غضة فإن البدو يطلبونها. ويضعونها في حفر بعيداً عن الماء أو في أكياس. فإذا جفت خُربت بالعصي. ومزّت، ووضعت البذور «الكعبرة» التي سقطت على الأرض في

أكياس «عدول» وهي بها إلى العدران حيث تترك إلى حين، أو تنقع في الماء. في الأغل. حتى تنفط فتشربها الباسة. وأحياناً تملأ «حواص» الماء الحلدية الكبيرة ماء وتوضع فيها القشور بنارها. وبعد حين تنتفع وتصفى. فيرمى بالقشر الذي يطهر على السطح بعداً، بينما تشر اليد. الضيقة على ساج وتترك لتجف. أو يصع اليدو الأكياس الملائى. وهي لما تزل رطبة في الشمس. ويهر بها حتى تساقط اليدو القاع. ثم يلفون القشور بعداً. وسفوف المدور ثابة لتكون صالحة للأكل في موسم الجدد. ويدعى هذا «سحقه» أو «سبه»

وتعتمد الخصبة أو الوهر «الربيع» اعتياداً ناعماً على نمو الأعشاب والنباتات الموسمية نمواً جيداً. لا على نمى الشجيرات أو النباتات المعمرة. وهذه تضر حتى بعد مطر صيفي جيد. إذا كانت الأرض قد سقت سبياً حسناً. معبوه. لكن مطر الصيفي لا ينفع النباتات الموسمية لأن حرارة الشمس لا تليث أن تحرقها.

وفي سنة واحدة ونحوها لا يكون لدى قسبة «ربيع» مثلاً. ويكون لدى قبيلة أخرى. بل ومحاوذة. وقرية من كل شيء. ويكون الثابتين أوضح إذا كانت القبيلتان متعاديتين يقولون في مثل هذه السنة: «هذه السنة والله شون. ناس» يعيشون وناس» يموتون.

ويقسم البدو «الربيع» إلى أنواع منها «ربيع الماش» ويعني فضلاً يتألف منه الربيع، يرثه من وقع نانية منتشة لا تكفي حتى لإطعام أصغر الإبل و«ربيع الصغارى» حين لا يسو إلا «الصغارى» مازهارها الصفراء و«ربيع الدمنة» حين لا تهطل أمطار سهاك على الأعشاب مع أن براعمها ربما تكون قد بدت و«ربيع التلعحاح» حين تغطي السهول السنوي. لتضفر مكرراً. أي في آخر مارس و«ربيع التلعحاح» حين تغطي السهول والأغوار جميعاً بحادة كثيفة من العشب وأحياناً «ربيع الطفحة» حين لا يتوفر مرعى حصص في التخصصات وحدها بل في المحدرات كلها

وكما يحسن البدو حباً قوياً لشيء «الربيع» فإليه حشرون سبات العجل أو «الحوا» وإذا لم تتوفر الأمطار في أشهر الحريف يقدّر كلاب مدة عامين أو ثلاثة فلا عشب. وعلى الإبل. حيثما. أن تقاتل الشجر وحده إن أمطار الشتاء «الشتوي» لتصح هذه السنوات ذات الحصرة الدائمة. لكنها تحف خلال أيام «السهاك» الحارة فلا تنشربها الإبل.

ومن ثمّ نداء «أباه» «الحواء» أو «أباه» «عور» «حفيفة» وهي فتاة تنفق فيها إبل كثيرة.
 لكن إن لم تهمل الأمصار «لصبة» «الصبى» «بصاً» لم توفى شجرة واحدة، ونسألف
 مروع الشجر التي تمت في السنة العاشرة لتكسيدها الريح وتعرفها. وسرعان ما تتحول
 الأرض إلى صحراء مَبْتَعَة بمعاملة مع الموت.

هذا هو عمل الشمس الأثني التي عابها الوحيدة التحريق والتدمير.

الغضن الحار والبدد. الصلّ، الريح.
 الصباب. الشراب والعواصف الرملية

يحدث أشد حرارة المسمى «حذ الكيلين» في فصل القبط. وأشد الحرارة بعد ذلك
 «حذ شهب». وهو الفصل الذي يأتي قبل صراع شهب مباشرة وإذا احتضت الثريا من
 السماء حث كل عود «الباعث» الثريا كل عود ييسر.

وأبرد المصولة كلها فصل الشتاء مع بضعة أيام قلة وبضعة عده.

وبكون الشتاء الحقيقي «البرغاية» من ١١ ديسمبر حتى ٢٠ يناير. وينبع برّد الشتاء
 سبع ليالٍ سامة سبع سنة. ثم تليها سبع دموع سبع دقة. وأخيراً سبع إمّا أن يزداد
 فيها شحم الإبل أو أن يفيض «يسير الدّس» ولا يسير. ولتبيان ذلك بعمل القوم بأن ليالي
 الأسوع الأول والثاني بعد «المرمائية» غالباً ما كانت من البرودة بحيث نعل حباة
 الإنسان والحيران معاً مائة. إن أثبت الخيال لتسلل دماً من أثر البرد. ولا ندأ الليالي
 الباردة بالتناوب مع الليالي الحارة قبل الأسوع الثالث أي لعم منتصف فبراير. فنكون
 الأرض دافئة أثناء النهار. لكن نرد. في الليل. طقة الهواء إلى أعلى من مز واحد فوق
 سطح الأرض حيث يعاني العملاق «أي الحمل والخلقة» كثيراً من البرد وبرد
 الطويل. وتنعش في الشتاء «المرمائية» متطفة تدمر كلها ومناطق الحماة والودبان
 والجحرة والحتمه وحسباً كلها. وحتى تعود بالصفيع الأبيض «الحليت» و«نبيض»
 حينذاك الأشجار والشجيرات بالخليل في تدمر والحماة وحسباً على هيئة رقائق كبيرة
 «لويرات» بانتظام في كل عام. ولكنه لا يمكث على الأرض. بعقة عامة، أكثر من
 يوم واحد إلا في تدمر بطل أحياناً مدة أطول من ذلك مسبباً خسائر حسيمة للملكي

الأغواء والناعز.

والطَّلّ، أو التَّدْي، أو الطَّلّ، كثير ضوال العام. لا سببا خلال أشهر الصيف ويرسله القمر لبعث كلاً من النباتات الموحية أو الأعشاب، عشب، والنباتات الخولية أو الشجر التي إن لم تنعش على هذا التحدي فإنها لا تقوى على تحمل حرارة الشمس، وبسبب البرد - منع الراء - أحياناً بدلاً من المطر أو معه. وعالمًا ما كان البرد من كبر الحمة نعث يجرح. بل وبقتل الإبل الغنّة

ولا أحد يعرف على سبب الريح لأن كل سنة هوا، قد أرسلها الله سبحانه وتعالى. وتُدعى الريح الحقيقية «هواء» وأيضاً «هبر» - والقوية «صلب»

وأكثر ما يهب من الرياح الخنوية العربية. وتنشط في الصيف كل يوم بانتظام ساعتين بعد الظهر فتبرد حرارة اليوم وتدعى «براد» - بتشدد الراء - أو «دُعْداعي» ونكاد نريحُ الشَّال «الشَّال» لا نهب إلا خلال فصل الشتاء مُنْتَهة السَّحْب. ومُتَشْرِبة ماءها، ولذلك نسمي «السَّلابته»^(١٧).

وجب البدوي في الشتاء ريح الجنوب «القلي» حثاً حثاً. لأنها مصحوبة دوماً بالمر «السَّفَّه».

ونهب ريح الشرق «الشرقي» أو «الشرقية» في العادة. ثلاثة أيام أو أربعة فقط. وتنبهما دائماً الريح الغربية.

وعند انتهاء فصلي «الحالك» و«القبض» تكون هذه الريح قوية قوة منسبة تفضل هابة مدة قد تصل إلى سبعة أيام بلياليها. إنها تدعى «سوء». وهي حافة حفافاً مفرطاً وساخنة، ونسب الكثير من أفاعا لا سببا للنساء والأطفال. ولو استمرت هابة أكثر من سبعة أيام فلكم عن بكرة أبيه

ونهب في الشتاء أحياناً الريح الشمالية الغربية «التكنه» ويكون ذلك عادة في الليالي التي لا يظهر فيها القمر حيث تتلأأ النجوم فقط. وتدعى الليلة من هذه الليالي «جرْد» - كسر الحيم - إنها مشرقة جداً لكنها باردة جداً قارساً.

وإذا هبت ريحٌ غربيةٌ قويةٌ لكنها باردةٌ حيث الثبلَةُ شتاءً. وتعرف الثبلَةُ الدافئةُ التي تكون فيها السماءُ صحراً بـ «فَرَّازِين». وتدعى الثبلَةُ الدافئةُ التي تكون السماءُ فيها عائمةً «ظلمةٌ دلفس». والثبلَةُ الظلمةُ المسطرةُ «عندرا».

وإذا كانت الرؤية في يومٍ مشمسٍ غير حيةٍ. وعلى الأفق صبابٌ حفيفٌ تحدث عن اليوم بأنه «عُطَّاطٌ ما يُغضى الشوف».

ويكون الطقسُ معنأً نوعاً ما في الظهر حلالاً أباء القطر. ونشبه الشمسُ أسطوانةً يجلب لونها إلى الحمرة. هذه هي «الكثمة» أو «الكتاه».

ويشتر هوف الأرض في الخريف والشتاء صبابٌ رطبٌ كثيفٌ «فيس» أو «كيس». وبعض البدو أن الضباب يسع كما يسع الشر. ويعنى الشعب. ولذلك يصيحون به: «ها يا كَبَّاسُ غلَّ الثَّغْبُ أي: يا أبا الضَّباب! اهرب»^(١٣).

إن الرولة بعدون الضباب من عمل الخس. لأنه يبدو في العادة للعبان متصاعداً من الأحاديث والصخور المنصدعة. حيث يلت مدُّ أضواء. وإضافة إلى «الفيس» في المصنوع الباردة. هي «العجاج» والسراب. اللذين يكونان في الفصل الحار «كالقيس». عملٌ خس.

وفي الأباء الحارة المشرقة. وخاصة في الظهيرة. تبدو في سهول الخباد التي لمحتها الشمس بركةً كثيرةً قد أحاطت بها سباحات من الشحيرات والأعشاب الطويلة بحيث أقره العرب. محدوعاً ما ينظر الذي بدا له. مطبئة الصفة إلى الماء القريب جداً. ويعجب له لا تحت الحبران حطاء لكن الديمة في هذه الحالة. أغفل من الإنسان العرب الذي تعبوا التحرية. فهذه الترك والمنسجعات ليست مسطرة على الباهة. إنها تنحرف في الهواء وحسب فإنَّ هي إلا سراب.

وفي أحابن أخرى أبصاً بشير الخس ريناً عاصداً تصحبها عبوةٌ عمار وزرابٍ يسوقونها نحو البدو محاولين إغواءهم. وإسقاط بيونهم. فتدعى كلُّ شيء حيٍّ وتدعى مثل هذه العاصفة «عجاجة».

إن الأيام التي نهب فيها عواصف الرمل لمفرقة. وإن اللباني لأكثر ما إفزاعاً
ويندو في الأفق من جهة الخوب سحب صغيرة فائمة. وسكن الريح. وتبلغ
الشمس بأفاعة مرنعة. ويستوي على الناس شعور غريب محزن. ونكون الإبل هائجة
مُسْتَفْرِجة لتتجمع جماعات. ونكف عن الرعي. ثم نكر تلك الأفعة الصغيرة إلى أن
نصحي سحابة ذات علوكبير فتستأ الأفق. ونعصي في الارتفاع باعثة إلى الأمام ضحجاً
ذا حفيف عنب. وقل مضى طوبل وقت بظهر أمامها حائط أسود بظل متقدماً نحو
الوجهة عيبا. ويزداد الحفيف. وينحول إلى زئير وحشي. وبأنني الحائط مُنْتَظماً بغطى كل
شيء بالغيار والزباب حاملاً أي شيء يعرض طريقه. ودافنا كل ما لم يستطع حمله

التعليقات

- (١) هذا هو الفصل الأول من كتاب «أخلاق عرب الرواة وعاداتهم» الذي يقوم الكاتب بدراسة القسم الأول منه من الأمكنة. ويقوم بدراسة القسم الثاني المذكور عدده بن علي الزيدان
- (٢) في الأصل «الحزن»، ولكنها تناسب الإشارات الكثيرة إليها على أنها تأتي والتي وردت في النص
- (٣) ترجم المؤلف «الظلمة» بـ «أولئك الذين يسيرون في الظلمة» وهو خطأ مستغرب ولمعه من أمثاله!
- (٤) الشاعر في محمصة خفي، بدون «أه»، وانظر محمد بن ناصر العمودي، الأمثال العامة في محم، الرياض (د ت) ١٣٠٢ والمثل لصح لدم هذا اللفظ (أي بدون أل)
- (٥) أي التوائم الربيعان والخمانيان
- (٦) لست أفهم، ولا أجد في يدوي، من أين جاء المؤلف هذا النص له، استشهد
- (٧) الحديث عن الذهب تحمیل للنص فوق ما يحتمل، فلم ترد كلمة «الذهب» في النص، وليس «ذهب» بـ «ذهب» وهم من المؤلف
- (٨) تأمل أنها القارئ الكريم في الحالة الصفة المؤسفة من الجهل النطق الذي شاع بين هؤلاء الأقوام بحث فست فهم كثير من أمثال هذه الحالة
- (٩) من هذه القطوعة ولا حقا الحالة المبهمة المتروكة التي عاشها الرواة في أرائل القرن الحادي عشر، (أرائل القرن العشرين السبعي الحالي) فقد انتشرت بينهم، هذه الشراكات السجفة
- (١٠) «المدة» هو «المُدَّة» بضم الميم المكالم المعروف، هذا هو المقصود اختصاراً بترجمة المؤلف للكلمة، لكن قد يكون المراد «من» «مُدَّة» - بفتح الميم - أي من عطاء الله وإعداد
- (١١) ترجم المؤلف عمر البيت التالي هكذا: «الكامل على من قصصه عي»، وما أشبه أدق، كما يدل عليه نص العارضة، لأن الفعل الأخير رسم هكذا (Farakūm) لا (Farrekūm)
- (١٢) لا بد أن المؤلف ذكر هذه العارضة ما على ما سمعه من الرواة إذ لا محالة يحتمل أن هذا كلام عرافة
- (١٣) لعل الصواب «السلانة» أي التي «استلته السحب» أي سمحها
- (١٤) هكذا والمصنف البليغ هو «أما الضباب حاداً القلب» أي فاهرب

أَخْلَدُوا حَرْبَ الرِّوَالَةِ وَعَادَ لَهْمُ



للمستشرق النشيكوسلوفاكى ألويس موزل (١٨٦٨ - ١٩٤٤م)
ترجمة الدكتور محمد بن سليمان السديس

الأطفال (*)

ولادة الأطفال وتسميتهم

يقال للمرأة التي مارست اتصالاً جنسياً مع رجل (وَخَمَ) خلال الأيام الثلاثين التي لم يتضح فيها ما إذا كانت المرأة قد حملت أو لم تحمل. فإن كانت قد حملت دعيت «نازلًا» أو «حاملًا».



والمرأة الروبلية لا تتطلب عند ولادتها قابلية أبداً. فزوج كردي، مثلاً، ولدت طفلاً وهي راكبة على قنب على ظهر ناقنها والقوم ظاعنون، ولم تتوقف عن توجيه بعبيرها. لقد قطعت جبل السرة بنفسها، ولقت الرضيع بثوبها، وترجلت عن مطبتها في المقطن الجديد، ثم حملت الطفل (العيل) إلى بيتها.

والمرأة التي نرمي مالي بطنها، والتي مات ما في رحمها (رَمًا) نكون موضع خوف. ونعيش النساء كما كانت تعيش قبل الولادة فلا تغيير في نوع الطعام الذي تتناوله. وإذا وُلِدَ وَلَدٌ ذَكَرٌ هُنَا الْأَبْ أَقْرَبَاؤُهُ الْأَدْنَوْنَ، لكنه لا يظهر تعبيراً عن سرور غير اعتيادي. كما لا يدعوا لعشاء لحم. ولا يضحى بحيوان أو يُذْبَح عند ولادة غلام أو جارية. ويفسل الطفل مدة سبعة أيام بعد ولادته بيول النوق، ويمسح جلده بالملح.

وفي اليوم العاشر ، أو العشرين أو الأربعين ، تجتمع قريبات النساء القمح ، ثم يُستخرج من سنبله ، ويُعدّ منه طعامٌ في بينها تدعى إليه نساء الحي جميعاً . هذا الاحتفال يدعى «طلاغة الغنبل» .

وتذهب الأم بطفلها لزيارة أقرباتها جميعاً ، وتدعى هذه العادة (نطليغنه) . وكلُّ بهدي للطفل شيئاً ، غالباً إما فُعوداً أو مهرأ ، وتُظّل الهدايا مُلكاً له . ونُسمي الأم ، دون سواها ، طفلها . هذا أحد امتيازاتها . وهي أحياناً تختار اسماً دون أن تُطيل التفكير فيه ، وفي أحيان أخرى قد توجهها تأثيرات شتى .

وهكذا وَلَدَتْ زوجُ الأمير النوري ، على سبيل المثال ، صبياً حين كانوا فاطنين قرب فصر الاخضر^(١) ، أو كما يسميه الرولة الحفاجي ، فسمت الصبي (خفاجي) ، وامرأة أخرى ولدت والسماء تمطر مطراً صبيّاً ، فسمت ابنها الصغير مطراً ، وولدت زوج كردي ابنتين مع أنها كانت شديدة الرغبة في أن تلد ابناً ، فكانت تدعو الله ، وقد منحها ما أرادت بعد حين ، فسمت الصبي رجاءً .

واستعصت ولادةُ زوج عودة الكويكي (تَعَسَرَتْ) ولذلك قالت : «سُتُسمي عسبراً» . وامرأة أخرى امتلأت غيظاً لأن زوجها كان قد تزوج ثوراً زوجاً ثانية سُمّت ابنتها مُغبطاً . ونقلت زوج العبد حمار أبو عواد ضرباً على يديه قبل أن تلد ذكراً بقليل ، ولانغنا مغاضيةً له ، فسمت الصبي (زَعَلًا) في ذكرى سوء معاملة أمّه . ولما ولدت بنتاً بعد ذلك بقليل ، قالت : إن اسم أبوك «حمار» وسيكون اسمك «بقر» .

وليس ثمة بهيمة أو نبات لا يمكن تسمية الطفل بها . حتى السابعة يقال للطفل «وَعْدَه» (الجمع : وُعْدان) ، أو «وَرَعَه» (الجمع : وِرْعان) ، أو «صَجي» (الجمع : غُجَيان) ، وبعد السابعة يقال للولد «عِيال»^(٢) . واسم الطفل الصغير الميت «قَرطَه» (الجمع : أفراط) . ويجب إحصاء (عميمة) لهؤلاء في العيد التذكاري القادم لذكرى الميت (ضجبه) .

● مراسم الختان ●

يُختن الرولة أبناءهم بين السنة الثالثة والسابعة من أعمارهم ويكون ذلك عادةً في فصل الصيف (في أواخر أبريل أو مايو) إما يوم الإثنين أو الثلاثاء أو الخميس ، قبل اليوم الخامس عشر من الشهر القمري مباشرةً أو بعده مباشرة .

وقبل الختان بيومين ، تتوافد على بيت الرجل الذي سيختن ابنه الفتيات من الحي كله فيزركشن عمود البيت الرئيسي بريش النعام والخربق الحمرام والأشرطة (غُرُؤا المُصْنَع)، ويُعلن بالصيحات السعيدة (زُغُرُوت) أن ختاناً (مُصْنَع) بُسْعِدُ له .

وبعد غروب الشمس يتجمع شباب الحي من كلا الجنسين هنالك . ويؤلف الشبان نصف دائرة مفتوحاً تجاه البيت ، حيث تشتعل نار عظيمة ، ثم تقف بين النار والشبان فتاة بالغة مغطاة الوجه حتى لا يرى سوى عينيها ، وتمسك (الحاشي)، كما تُدعى هذه الفتاة ، يمينها خنجرًا حادًا ، فيبدأ الفتية يضربون الأرض بأرجلهم ، ويصفقون بأيديهم ، ويمبلون أجسامهم يميناً وشمالاً وإلى الأمام وإلى الخلف ، صائحين بنغمات عميقة : انتبهى ! .. انتبهى ! ، (دُخِي دُخِي)، ويمسكون الفتاة بأيديهم فتراجع وتدافع عن نفسها بالخنجر ، فيعزز الشبان حركاتهم ويهاجمون الحاشي بعاطفة أقوى ، بينما تدير هي الخنجر بحماس أكثر ، فيلمع الخنجر كالبرق ، ثم تتنحى الفتاة وتراجع وتقدم ، وحركاتها كلها يعكسها وهج النار خلفها ، وتُجَنُّ الأرض تحت أقدام الفتية الخابطين وهم يصيحون بأصواتهم العميقة الخشنة من الإعياء والشهرة : «دُخِي دُخِي» فإذا تعبوا سقطوا سقطة رجل واحد وتصنع الفتاة كما صنعوا .. ويستمر اللعب حتى تغفر الفتاة ، التي تكاد تسقط من الإنهاك ، وتهرب .

ثم يستريح الغوم برهة . وأحياناً يتلو شاب قصيدة ، ويصف الرجال والنساء الحاضرون بعد كل بيت : (يا هَلْأَيْك يا هَلْأ) وحالما تنتهى القصيدة ، يقدم المضيف فتاة أخرى في المشهد ، وبدأ التسلية (الدحة) من جديد .

وبصفة عامة ، يكون ثمة ثلاث فتيات (جشيان) أو أربع تُخْلَفُ كُلُّ منهن الأخرى ، ولانتهى (الدحة) حتى شروق الشمس . ويعاد في الليلة التالية الشيء نفسه .

وفي صباح اليوم الثالث يُحضّر الأب أو أقرب أقرباء الطفل الذي سيُختَنُّ ناقة أمام البيت ، ويقطع عروقي يديها بسكين ثم ينحرها وسط زغاريد النسوة . ويقال لمثل هذه الذبيحة «ذبيحة المُصنَّع» . تشرب الأرض دمعها ، ويطبخ اللحم في قدور راسيات ، وفي الوقت نفسه يُعَدُّ أقرباء الصبي الخبز ، أو البر الرقيق المغلى «العيش» .

وإذا جاء الظهر حملت النساء الخبز والعيش واللحم إلى بيت الأب حيث بإمكان أى إنسان أن يدخل ، بهذه المناسبة ، ويأكل حتى يشبع . ويدعى هذا الغداء «غَبِيَّة المُصنَّع» . وبعد الغداء ، يضع الأب ، أو إن كان متباً ، أقربُ الأقرباء الولد في حَجَره ، وهو مرند ثياباً سوداء في ذلك اليوم ، ثم يقطع غُلْفَتَهُ بسكين حادة . فيصبح الطفل من الألم ، وتزغرد النسوة من الفرح ، ويتقافز الفتيان على جباههم ، ويطلقون نيران بنادقهم ، ويقومون بمناورة قتال «طَراذ الخيل» أمام البيت . وحين يهدأ الصبي قليلاً ، يغسلونه ، ويلبسونه ثياباً بيضاء ، ويقدمُ الأقرباء هدايا من كل صنف ، كالملابس والأسلحة والأفراس والإبل الأبقار . إلخ . هذه الهدايا (التَّجْبِيلَة) تكون للولد وحده . وحين تنتهى مناورة القتال ينسلى الرجال بالرمي نحو غرض . وذلك الغرض هو رأس الناقة الذبيحة الذى يوضع بعيداً نوعاً ما من بيت المضيف الذي يبدؤون الرمي منه . ومن يُصِبه يأخذُه ويطبخُه لنفسه .

● أهازيج تُغَنَّى في مراسم الختان ●

تؤلف الفتيات مساء صفين في الغناء الذي أمام البيت وتتقدم اثنتان منهن داخل الطريق الذي بين الصفين . وتكون إحداهما حاسرة الرأس ، مغنوضة الظفائر . . ترقص عملة كلاً من رأسها وجسدها يميناً وشمالاً إلى الأمام وإلى الخلف . . لكنَّ عليها أن تثبت في مكانها ، ولتنع ابتعادها عنه تمسك الفتاة الأخرى بيديها أثناء الأداء . وتصفقُ الفتيات الأخريات مع حركاتها تصفيقاً هادئاً ، ويغنين أهازيج تدعى «حفلة» ، وهذه الكلمة هي أيضاً اسم الرقص .

غُيْبِرِكِنْ بِاهَاغُنْغَادِيرْ مَابْهَ رَجَا لَوْرَجِيْنَاهُ
والى بُنْغَاتِي^(٣) الْمُخَابِيرْ دور الحواطر بِليَاهُ

المعنى :

ان زوجكن يا ذوات الملابس الحسنة ، لارجاء فيه . . ومن يجد الثمن غالياً فلماذا تبه
الوصل بلائمن؟^(١)

المرأة التي تحب اللباس وأن يدار بها في مودج تحتاج زوجاً لا يمانع في النفقة التي يتطلبها
ذلك ، فإن لم يمنحها واحد كل ماتريد بحث عن آخر أكرم منه .

ساراكب الملحاً بكر الكائب
وان ذنفت ترعى عطها المشاعيب

المعنى :

أيا راكب الناقة الملحاء (أي السوداء)، أثن الرسائل ثانية وحافظ عليها .^(٢) فإن خفضت
رأسها لترعى ، فاضربها بالعصى (أي لتسرع في السير) .

نشاق الفتاة لكلمة من حبيبها الذي مضى مع بعض تجار الإبل إلى مصر ، وتحث الرسول
الذي يحمل الخطابات إلى الشيخ أن يسرع .

زاعوا من العيد ومففين
علمي بهم بالمقاطين
ومشترين الدلال
ومركزين المقام^(٣)

المعنى :

لقد رحلوا بعد العيد ولكن نحو الجهة الأخرى ، وقد ارتدوا أحسن ملائهم .
عهدي بهم في الأحياء ،^(٤) وقد نصبوا المقام .
علمت الفتاة أين حل أهل حبيبها .

العيد : هو عطلة (الضحية) حيث يضمى البدو بناقة لكل فرد من أهلها يكون فد مات في
السنة الفائتة . مفين : تعني أنهم لم يتبعوا الآخرين في حركتهم إلى الامام ، بل انجهوا إلى
الوجهة المعاكسة . وقد نزلوا قرب مورد مدة طويلة (مقاطين) . كلمة (مقطان) تدل على المكان

الذي يقبم فيه البدو إقامة طويلة في فصل الصيف ، ومن هنا : (قَطْنَا عَلَى الْقَارَةِ نَعْنِي : أَقْمَنَا طَوِيلًا فِي الْقَارَةِ). القام : هو هذه رُفْعُ الْمَاءِ الْخَشْبِيَّةِ ، تربط فوق جانب بئر عميقة (انظر كتابي : بلاد العرب الصحراوية ، شكل ٣٥ ، ص ١٦١). ولاتعد مثل هذه العدة الا حين يعتزم العرب الإقامة في ذلك المكان بعينه طويلاً . وبذلك المناسبة يرددون أحسن ملابسهم ، وتلبس النساء أجمل ثيابهن «مُنْثَرِبِينَ الدَّلَالَ».

اذْعُو رَاعِي الشُّوشَةِ النُّورِي مَا أَحْلَى هُوْشَةٍ
بِائْشَرْدٍ لِلرُّجْدِي بُوْشَةٍ يَأْخُوسُ التُّرْكُ يَأْخُوشَةِ

المعنى :

ادعوا بطول العمر لصاحب الشعر الكثير ، النوري ما أحسن قتاله!
يامن يرشد الإبل التي ينهبها التُّذُلُ! إن قتاله شبيه بقتال الأتراك .

المعنى :

ادعوا : نعني «بإطويل العمر». حين المضي إلى المعركة يحسر كل راكب عن رأسه ، فنبقى غترته على كتفيه ، ويغطيها على الجسم وزن العفال المعلق حول الجسم . الشوشة : الشعر القصير غير المظفر في أعلى الرأس ، ولا يترك عادة إلا خصلة منه ، ويحلق الباقي .
مُنْشَرْدٌ : (أو يَبْكَ) بُوشة : يُطْلَقُ غَنِيْمَتُهُ ، القتال مع الأتراك (أي مع الجيش النظامي) صعب على البدو ولذلك فهم يعجبون به .

يَأْتِيْنِي بِبِزْرَبَةِ الصَّيْفِ يَأْبُرُوْهَا بِلَنْجِنُ
تَلْعَبُ عَلَى الْبَيْضِ بِالْكَبِيفِ وَشْ عَادَ لَوْ يَزْعَلُنْ

المعنى :

يامنيقة يا من تشبه مزنة الصيف ، ما أجمل يروقها اللامعة! تلعب بالفتيات كما تريد ، وماذا يهمُ إن غضبن؟^(٨)

في أواخر أبريل ، حين يبدأ الصيف ، تصحب المطر عواصف عنيفة تجدد الجو تجديداً كبيراً . منيفة ، زوج أكبر شيوخ القبيلة ، لاجابة بها لنحسد رفيقاتها ، لأنها تمتاز عليهن بالجمال والسلطة .

بابيت	أبو نواف	بابنوة	البادي
ورؤيتهم	بالقيظ	خبرا	لنوراد
وضحوتهم	بالليل	توحي لها	منادي
لحوبهن	منيفه	بابنت	الاجواد

المعنى :

بابيت أمي نواف ، يا أمية المسافر ليلاً ! ..

ورواهاهم في القيظ كالغدير الكبير الذي يجلب منه الماء ! ..

ولضحوتهم في الليل منادٍ تسمعه [يدعو الجانعين إليها] ..

لقد أعدتُنَّ منيفة ابنة القوم الكرام الأجواد ..

أبو نواف «هو الأمير التوري» ، وزوجه منيفة ، ابنة للمرحوم الأمير سظام .

«بادي» : مثل «ساير» تعني : المسافر في الليل ، أو الزائر . نشعل النيران المنوهجة قرب كل من قسمي الرجال والنساء من البيت فتجذب المسافر حتى عن بعدٍ جدٍ عميق .

«رؤيتهم» : الرؤي هي «الرؤايا» أو حفاتب الماء ، تصنع كل منها من نصف جلد بعير ، وتوسع لنحو ١٥٠ لتراً من الماء . وإن شح الماء في القيظ حصل عليه الجميع من بيت الشيخ .

الخبرا (الجمع : خباري) : هي المساحات المستوية ذات الأحجام المتنوعة في سهل واسع ، يجتمع فيها ماء المطر من الأراضي الأعلى . صحونهم : صحون هائلة الحجم لكل منها أذنان ، وغالباً ماوصل قطر أحدها إلى متر ونصف ، يحضر فيها العشاء للضيوف الذين يدعومهم الشيخ أو مثله للمجلوس ، ممسباً كلأ منهم باسمه ، وفي سكون الليل تسمع نداءات الشيخ هذا من بعد .

صَبِيَانُ ثُوبَ الْمَالِ لَا نَلْبَسُونَهُ يَسْتَأْهِلُهُ نَوَافٌ وَخِيفِي دُبُونَهُ
لَيَأْتَا نَهَارَ الْكُوْنِ وَتَمَقَّدَ رَدُونَهُ

المعنى :

أيها الشباب ، لا نلبسوا ثوبَ المالِ [ثوب غالي الثمن] ، إن من يستأمله هو نواف ، فثوبه ليس جديداً ، وإذا جاء يوم الحرب فإنه يَمَقَّدُ وَدُنْيُهُ خَلْفَ رَقَبَتِهِ [أى يشمر عن ساعده ويشترك في القتال] .

الثوب : هو قميص الرجل الطويل المصنوع من الكتان الأبيض . «ثوب المال» : ثوب ذو تطريزات تجميلية حول الرقبة وعلى الصدر . يصل طول كُمِّي هذا الثوب ، في الغالب ، إلى متر ونصف ، وينتهيان بزاوية حادة . وأثناء القتال ، أو حين يعمل لابس هذا الثوب عملاً شديداً يُرَبِّطُ الكَمَانِ معاً وَيُلْقِيَانِ خَلْفَ الْعُنُقِ .

«الزبون» : لباس يصنع من قماش ملون ويلبس فوق الثوب . إن نوافاً، بصفته الأشجع ، ينبغي أيضاً أن يرتدي أحسن الملابس .

تَبَشِّرِي بِأَهْلِ الْخَيْلِ نَوَافٌ شَرَى الْمَعْنِيَّةَ
مَشَاعِلُ مَشَاعِلُ دَرَارِيخٍ مِنْ تَحْتِ عَوْدِ الْحَيَّةِ
قَالَ أَوْكَبِي لَانْخَافِي مَسَازِلَ رَاسِي عِلْبَةَ

المعنى :

أبشروا يا أهل الخيل ، فنواف اشترى قرساً من سلالة الخيل (المعنيَّة) . إن ساقِي مَشَاعِلُ كَعَمُودِي دَوْرَانِ تَبْدُوَانِ تَحْتَ عَوْدِ الْهُودُجِ الْمُخَيِّ . لقد قال : اركبي ولا تخافي مادام رأسي على كتفي .

تتمتد النسوة والفتيات نوافاً وزوجه مشاعل ابنه سظام وتركية . المعنيَّة : تعد من خير سلالات الخيل . ونرمز بِشَرَى شراء فرس (معنيَّة) إلى زواج نواف بابنة المرحوم الأمير سظام ، أي من ذرية أحسن أسرة .

حين تدخل المرأة المودج يجب أن تنحني فتظهر ساقها بدون إرادتها . الدرايع (المفرد : ذراعاً) : أعمدة الدوران الملفوف عليها الحيط .

الحنيئة : تدل على رحل من نوع (القنّب) ذي الأعمدة الطويلة المحنية . إن بإمكان «مشاعل» أن تبقى في هودجها هادئة البال ، فإن نوافاً سَيَعِدُ أي هجوم معادٍ يهدد النسوان أثناء الرحلة .

وَأَشُوْتُ نَبَالَ الشُّطِّ بُيُوتُ نَبِيُّ
نَوَاتٍ بِأَنْشُكَايَ نَبِييَ وَطَنَا

المعنى :

إني لأرى أمام الشط بيوتاً نبي . .

ياتواف بامن أشكو إليه أمري^(٩) . . إننا نريد وطننا . .

ثار عدد قليل من الكواكبة على الأمير التوري ، وتركوا الرولة ، ونزلوا مع «العمارات» على القرات . فأرسلت نساؤهم وقتياتهم للأمير نواف يسأله أن يتدخل من أجلهن لدى الأمير ، أبيه ، لكي يعذن إلى وطنهن .

كلمة «وطن» نادراً ما استعملت . فالتعبير السائد هو «ديرة» .

تَسْمَعُوا يَا هَلْ الْخَيْلُ فِلَان ، يُطَوِّلُ شِبَاهُ
مَاطُولَ حَيٍّ عَلَى الْخَيْلِ الطَّرْفُ كُلُّ شِبَاهُ

المعنى :

اسمعوا يا أهل الخيل ، إن فلانا أطال الله شباهه ، مادام حياً ويركب الخيل ، فإن كلاً يهاب الاقتراب من الإبل [أي إبل فومه لينهبها]^(١٠) .

يَانَوَاتٍ نَادَاوْ رُيْنَكُم صَاحَّةٌ تَحْطِي بِرَيْنَكُم

يَسْرَى سَلَابِلُ خَيْلِكُم

المعنى :

يانواف ، أَدْعُوا حَسَنَاءَكُمْ صَالِحَةً الَّتِي تَسِيرُ بِهَيْكَلِكُمْ بِخَطَى لَطِيفَةٍ ! إِنَّهَا خَيْرٌ مِنْ خَيْلِكُمْ كُلِّهَا .

صَالِحَةُ ابْنَةُ لِلنُّورِيِّ وَأَخْتُ لَنَوَاف .

بِاصَالِحَةٍ وَاسْمَعُوا يَنَافُسُ وَاهْيَلِكُ نَسَاقِلِينَ النَّاسُ
أَهْلُ هَذِهِ وَاهْلُ ثَوَاسُ وَاهْلُ لَعِبٍ عَلَى الْأَفْرَاسُ

المعنى :

بِاصَالِحَةٍ ، وَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْ أَهْيَلَكُ فِدَا فَاغُوا النَّاسَ جَمِيعًا ، فَهَمُ أَهْلُ شَجَاعَةٍ وَاهْلُ شَهْرَةٍ ، وَاهْلُ لَعِبٍ عَلَى الْأَفْرَاسِ .

وَالصُّفْرَا بَسَاوَلُ الْقَارِ يَنَافُوسُ شَاعَتْ أَذْكَارُهُ

المعنى :

حَبْنُ الْغَارَةِ تَكُونُ الصُّفْرَاءُ (اسْمُ فَرَسٍ) هِيَ الْأُولَى ..

يَنَافُوسُ لَقَدْ سَارَ ذِكْرُهَا وَشَاعَ ! ..

لَا مَا أَهْلُ ذُرْعَانِكَ صَبِيَّةً بِالْوُثَامِ مُغْفِرَاتُ
مَا أَهْلُ هَذِهِ أَهْلُهَا وَالسُّيُوفِ مُخْنِبَاتُ
مَا أَهْلُ ثَوْرَةٍ جَلُّهَا بِالشَّرَايَا مُتَبَيِّنَاتُ

المعنى :

مَا أَجْلُ ذُرْعَانِكَ يَا صَبِيَّةَ ، وَقَدْ زُرُكِبْنِ بِالْوُثَمِ !

مَا أَجْلُ غَارَةِ أَهْلُهَا ، وَقَدْ حَنِيتِ السُّيُوفُ !

مَا أَجْلُ ثَوْرَةٍ جَلُّهَا ، وَقَدْ جُلَّ بِالزَيْنَاتِ !

صيته : ابنة للمرحوم الأمير سظام كانت متزوجة الأمير النوري . الهدية : بفصد بها جلبه الرمي ، في الهجوم ، وصيحات الحرب ، وصهيل الخيل ، وأنين الجرحى . تحنّيات : قد حنين ، أى صُيُنَ بالحناء ، والمقصود أنهم ملطخات بالدم فكانهن (عَنِّيَات) . كانت صيته تمتطي جملاً أَوْزَقَ قوياً ، حين ترمحل القبيلة ، وكان رحلها «الْقَيْب» على ببطانياتٍ مُرٍ منوعة ، ابتيعت من الأسواق .

الاشَّقَحْ ماحِلْ هَرْعَبْ بِاصِيْتَه بِرَرْبْ وَدَعْبَه

المعنى :

ما أجل مشية الجمل الأحمر^(١١) . إنها صيته التي تحيط الودغ الصغار (أشكالاً على قنّه) . لقد حُلِّيَ الرجلُ الذي على البعير ، والعنانُ بودع صغارٍ بيضٍ على أشكالِ نجومٍ صفارٍ ، ومربعاتٍ وأشكالٍ أخرى . ومع مشية الحيوان المترنحة يهتز الرَّحْلُ أيضاً ويلمع الودغ لمعاناً غريباً .

الاشَّقَحْ وَأَنْ دِنِي عَنَبْ يَتَغِي الْحَبِيرِي وَالذَّعْبْ

الجمل الأحمر إذا جيء به عَنَبْ على ثلاثِ أَرْجُلٍ لَعَلَّهُ يُرِيدُ البطانياتِ الحمر ، والأهداب الذهبية .

حالما أَجَبَرَ العبيدُ الجَمَلَ «الاشَّقَح» الذي تمتليه «صيته» على البروك ، وعقلوا رجله اليسرى لِيُنْزِلُوا القنْبَ بسهولة ، نهض وبدأ يقفز على رجله الثلاث لأنه لم يك يرغب في أن يُحْرَمَ من الفِطَاءِ والأهداب المنسوجة مع خيوط ذهبية .

الْأَوْضَحْ يَرْزَعَجِ الْبُدِي بِاصِيْتَه مِنْ ضَنَا جَدِي

المعنى :

الجمل الأبيض يَمْزَقُ الوسائد التي تُسندُ القنْبَ ..
باصيته إنك من ذرية جدى .

اعتادت صيته أيضاً أن تركب جملاً أبيض خالص البياض . يدي : هي الوسائد التي تسند القتب في الرحل ، والجمل المليء بالحويوة يدير رأسه إلى الوراء ويمزق الوسائد بأسنانه .

ياصيتة بنت جديين جد ينزل السافة وجد ينطع الخيل.

المعنى :

باصيته ، يامن هي بنت «جندبين» : جد ينزل الأماكن الأخطر ، وجد بواجه الخيل^(١٢) . كانت أم صيته تركية ابنة شيخ الفدعان . وكان أبو صيته سطام بخنار المكان الذي تكون عشائره معرضة فيه للخطر الأعظم ليكون منزلاً يعسكر فيه . مثل هذا المكان يقال له «سافة» وكان أبو زوجته بطلاً مشهوراً لا يقف أمامه الغزاة .

غزال فشكم ساهاب يابنت تحضع الرقاب

المعنى :

غزال انطلق من بينكم غير هباب ، يا ابنة مُقطع الرقاب . . لم تك صينة تخاف ، وإن استطاع العدو دخول الحبي ، لقد ورثت عن أبيها سمات شخصيته .

ياصيتة يبتنا الرزينة كجبر المال يشريها
قليل المال واجزئة

المعنى :

باصيتها! ، يابنتنا الرزينة ، يشريها كثير المال . . أما الفقير فإنه سبحزن كثيراً (لعدم قدرته على نبلها) .

كانت صيته يدينا وهادئة الطبع . وحين كان النوري يرتعش فرقاً على حياته ، في بعض الأحيان ، كانت صيته ترقبه ليل نهار لتحول دون تسميمه أو اغتياله في بيته . مثل هذه المرأة لا يقتنيها إلا الغني .

أَهْلُ صَيْتَةٍ يَحْلُونَ سَكَارَى مَا يَذْلُونَ
عَلِ السَّاقَاتِ يُعْبُونَ وَأَهْلُ صَحْنٍ يَحْطُونَ

المعنى :

يَحْلُ أَهْلُ صَيْتَةٍ [على الأعداء كما لو كانوا غنماً] لأنهم كالسكارى لا يخيفهم شيء ، ولا يبالون بأخطار البقاع ، وهم أهل صحون تملأ للطاعمين .

يتصرف المقاتلون في الهجاء كما لو كانوا يذهبون غنماً فحسب (يَحْلُونَ).

الساقات : هي الأماكن المعرضة لهجوم العدو المباشر ، ولذلك فهي خطيرة جداً . ولا يهمل الشيخ ذو المكانة هذا الخطر فحسب ، بل يعتمد الذهاب إلى هذا النوع من الأمكنة ليجنب قومه الخطر ، وليدمر العدو بنفسه . ولهذا يُمدح أهل صيته لرباطة جاشهم عند البأس ، ولبسالتهم وكرمهم لأنهم يضعون الطعام في الصحن أمام ضيفهم .

يَا صَيْتَةَ بِحَزْمِكَ جَبْرِي عَلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ شَبْرٌ

المعنى :

يا صيته إن حزامك جبْرِي (؟) عليه من الذهب ما سُمْكُهُ شَبْرٌ .

تضع ، عادةً ، بناتُ الشيوخ الأقوياء وأزواجهم فوق ثيابهن حزاماً من الصوف أو الحرير نسجت مع قماشه خيوط ذهبية أو فضية .

جَلُّ صَيْتَةٍ شَبَا الْخَطْلَاغِ جَعَلُ مِنْ تَبْغُضَةٍ تَنْلَاغِ
يَمُوتُ وَلَيْدَهَا الرُّضَاغِ

المعنى :

جَلُّ صَيْتَةٍ تَسْلُقُ التَّلَّ ، لَعْلُ مِنْ تَبْغُضَةٍ نَصَابٍ بِلَوْعَةٍ ! فَيَمُوتُ وَلَيْدُهَا الصَّغِيرُ الرُّضَاغِ .
شَبَا الْمَظْلَاغِ ، تعني أن بغيراً يحمل هودجاً أنيقاً تَسْلُقُ مرتفعاً ، فبرز الهودج في الأفق ،

وبات يُرى من بُعد . يؤمن البدو بأن النظرة الحاسدة الغاضبة قد تلحق بالإنسان ضرراً فائلاً ، ومن هنا دعى على المرأة التي تنظر مثل تلك النظرة إلى بعير صينة بأن يعاقبها الله .
 بُنّالاع : تعني أن تتخفت المرأة تحافة مفرطة ، وتفقد منظرها الصحيح ، ولُيْد : طفل ذكر صغير ، تؤثره الأم على الأنثى ، لأنه يُعزّزُ ، وسيعزز مستقبل المكانة التي تتمتع بها الأم في البيت . ويفقده تفقده ، في الغالب ، سعادتها مدى الحياة ، حيث يطلقها حيثئذ زوجها ، وقد تضطر للانتظار الطويل قبل أن تجد رجلاً آخر ، بسبب الخوف من أن روحاً شريرة تنبها .

بامهرة بیدت من پین نزلین
 فوادها خالد لایسعد غیبی

المعنى :

بامهرة بیدت .. من بین قطینین ..

فائدھا خالد .. أقديه بنفسی ..

المقصود بامهرة هنا زوج خالد بن المرحوم الأمير سطاتم الشابة ، وكان قومها مقيمين يوم الزفاف ، غير بعيد .

بالبکرة حرة بامشبهها زفراف
 راکبها ممدوح بقلط ولا تخاف
 ببل بلبل الماء تخبطم على الأسلاف
 یرمی ولا یخطی یقمعد ولا ینشأن

المعنى :

بالبکرة الحرة .. مالمسرع سیرھا! ..

راکبھا ممدوح .. بتقدم دون خوف ..

تسیح کما یسیح الماء .. فتجاوز المقاتلین المتقدمین ..

إنه [أي ممدوح] یرمی فلا یخطيء .. إذ یقعد [متهاجلاً للرمي] فلا یزى .

كان ممدوح أصغر أبناء الأمير سظام وأجرأهم . لم يكن أيُّ عدو يستطيع الصمود أمامه في الهيجاء ، بل يفر فبضربه ممدوح من الخلف فيسقط على عنق معيَّته .

يُقلِّط : تعني إما «ينحني» أو «يدفع رَحْلاً أو راكباً إلى الأمام» . سيلبل الماء : طوفان هائل ينحدر مندفعاً فجأة ثم يخنفي كما ظهر . هنالك أودبة ، أو على الأصح ، قنوات ، يصل طولها إلى مائتي كيلومتر وتظل جافة سنين عديدة . فإذا نزل مطر كثير ، واستمر طويلاً ، فإن الماء يندفع بسرعة البرق عبر القناة (الشَّعْب) مفاجئاً البدو الذين صادف أنهم يحلون في جانبها المنخفض ، ثم يخنفي كما جاء . مثل هذا الطوفان ليس (سَيْلاً) بل (سَلَيْلاً) . وناقة ممدوح تظهر غير متوقعة مثل هذا (السَّيْل) كما تخنفي بسرعة مثل اختفائه لمقدرتها على التوجُّيد السريع .

السُّلف : جماعة من المقاتلين يتقدمون القبيلة الراحلة . وناقة ممدوح دائماً تسبق (السُّلف) .

يُقْعَد : نعني أن ممدوحاً ، الذي ما فتئ صغيراً ، ينحني مع كل طلغ لكبي ينغم «التهديف» . ولذلك لا يرى ، خلف رقبة بعيره . لقد كان عمره عام ١٩٠٩ ثمان عشرة سنة ، لا أكثر .

● تربية الأطفال ●

يظل الصبيان والبنات معاً مع أمهم حتى السابعة ، ويذهبون إلى أبيهم للتحدث معه بين الحين والحين فحسب . فإن لم يكن أبوهم قد طلق أمهم فإنهم يقيمون في قسم النساء ، ويتولون أداء الأعمال الخفيفة .

وإن افترقوا ماوجب العقاب ضربوا بغصاً ، ولا يضربهم أبوهم أو أمهم وحسب بل والعبيد ذكوراً وإناثاً . ويرى الرواة أن أصل العصا من الجنة (العصا إِظْهَرَتْ مِنَ الْجَنَّةِ) ، وأنها أيضاً تفود الإنسان إليها .

ويعتني الصبيان الأسنُّ بالأمهات فيرعونها ويسقونها ويركبونها حين ينتقلون من مكان إلى آخر ، كما يأنون بالخطب إلى قسم الرجال وبالماء للضيوف . . إلخ ، ويجلسون الفرفضاء مع الرجال

حول النار مصنين للأحاديث . كما يتعلمون تلاوة الفصائد والأغاني ، فيتعرفون بهذا على الشؤون العامة كافة .

ويتعلم الصبيان الرماية قبل بلوغهم الرابعة عشرة . كما يشتركون في غارة واحدة على الأفل قبل أن يبلغوا السادسة عشرة ، وفي هذه المرحلة لا يفكر الأب بمعاينة ابنه إذا عصاه بعضاً فحسب بل يستخدم سيفاً أو خنجرأ بدلاً منه . إنه يجرح أبنائه أو طعنهم لا يعاقبهم فقط بل يعوِّدهم على الصلابة والقوة لمستقبل أيامهم .

إن الابن الذي لا يطيع أباه ، قد اقترف في رأي البدو جريمة العصيان التي لا عقاب لها كالسيف (الشَيْفُ لِيْنُ غصاة) .

● ألعاب الصبيان ●

لا يبقى الأولاد دون عمل أبداً . فإن لم يشغلوا بمساعدة أبويهم فإنهم يلعبون ، وبعض الألعاب خطيرة ، وكلها ، على أية حال ، فيها تصليبٌ لعودهم ، وإذكاء للمكائيم .

الرَّمْحَةُ : في هذه اللعبة ، ينصفُ الصَّبِيُّ صَفَّيْنِ ، يمسك الصَّافُونُ بكل صف بعضهم أيدي بعضهم ، ويقفون في مكانهم ، ثم يتقدمون نحو الصف الآخر ، ويرفسون أندادهم إلى أن يتدحرج جزء كامل من الصف (يَتَرَايَحُونَ) . ولا تنتهي اللعبة حتى تغدو بطون كثيرين منهم سوداً وزرقاً . لكنهم يظلون واقفين طالما استطاعوا تحمل الألم .

الشَّارَةُ : وهي لعبة يمكن من الخطورة عظيم ، يأتي الصبيان بمحاذيفهم (مقلع ، والجمع : مَقَالِيْعُ)^(١٣) ، ويجمع كل منهم عدداً من الحجارة الصغيرة ، ثم ينفصلون إلى جماعتين متعاديتين ، ويعلنون الحرب فيما بينهم ، ثم يقذفون الحجارة من محاذيفهم (يَتَشَارَوْنَ) . ويسيل الدم دائماً . وغالباً ما خسر صبيٌ عيناً ، أو يُشْعِجُ رأسه ، أو يكسر عظم ذراعه أو ساقه ، بل إنه قد يسقط ميتاً . ومع ذلك لا يمنع الآباء أبناءهم أبداً من اللعبة . وإن مات صبيٌ فعل أهل اللاعب الذي قتله دفع الدية ، ونصفها عن الجروح الخطيرة الأخرى ، فإن لم تمكن معرفة الجاني وجب أن يدفع أهل الصبيان المشاركين في اللعبة جميعاً تعويضاً من هذا النوع يسمى «البُدَّةُ الغَشِيَّةُ» .

الخُغْكاله: لعبة أخرى ، ليست بخطورة سابقتها ، يخلع الصبي غترته ، ويعقد عقدة في وسطها ، واضعاً فيها حجراً ، ويقف لدى الباب (باب الميدان : المبدء) ثم يرمي الغزاة إلى رفاقه المنتظرين على بعد خمسين خطوة ، ومن يتمكن من الإمساك بها بضرب الآخرين وهم يعدون نحو الباب ، ثم يعود إلى مكانه ، ويلقي الغزاة بين الأولاد الذين يصيحون به : أعط الغزاة من أعطاكها «عظها من عطاكها» ، وتُستأنف اللعبة من جديد .

وهنا أيضاً ، فد يعود غلام إلى بيته وفي رأسه شجرة متورمة أو في جسمه جرح يسيل منه الدم .

مُدْمَح سارة: يلعب الصبيان ليلاً ، لعبة تسمى «مُدْمَح سارة» فيأخذون عوداً حاداً الطرفين «سقاطه» من ذلك الضرب المستخدم لربط رواق البيت الخلفي لِسْفَقِهِ . يقف أحد الصبيان لدى باب الميدان «المبدء» ويلقي العود لرفاقه الذين يقفون على بعد نحو عشرين خطوة منه . فيهتف الصبي الذي يلتقطه : (مُدْمَح سارة ، مُدْمَح مبعي) ، وينطلق في الحال نحو الباب ، فيرمي الآخرون بأنفسهم عليه محاولين أخذ العود وصائحين : أنا ذو القوة ، سأحطملك ! «أبا العَرَبِيك والعارك». أما الغلام المهاجم فيذود المهاجمين بأفوى ما يستطيع ، طاعناً إياهم بالعود ورافساً وعاضاً آملاً أن يصل إلى الباب والعود معه . ومعظم الجروح الناتجة من هذه اللعبة ، ترى آثارها ، بطبيعة الحال ، على ملابس اللاعبين .

الحاجبة: وعند إرادة لعب «الحاجبة» تحفر حفرة في بقعة مسنوعة من الأرض ، وتحفر وسطها حفرة أصغر منها وأعمق . وتوضع على جانب الحفرة الكبيرة حصاة مدورة «حاجبة» ، ثم ترمى من الباب حصاة مشابهة «سبك» لكنها أكبر ، نحو الحصاة الأولى لإسقاطها في الحفرة الكبيرة حيث لا بد أن تندحرج في الحفرة الصغيرة . وحين يؤدي الأولاد جميعاً (أدوارهم) ، يمتطي الصبية الذين نجحوا في وضع الحصاة في موضعها رفاقهم ذوي الحظ الأقل حُسنًا ، والذين يجب أن يحملوهم من الحفرة حتى الباب . وغني عن الذكر أن هؤلاء الراكبين نادراً ما غاب عنهم أن يُنَحَّسُوا جوانب أفراسهم لقصرها على الإمراع !

خَيْلٌ وَخَيْلٌ: وفي هذه اللعبة تُختار الأفراس والراكبون بالفرعة ، ثم يستوي الراكبون على ظهور «الخيل» التي تحملهم حتى اهدف المحدد ، وهناك تصبح «الخيل» : (الخَيْلُ أَفْلَابُ)

وتغلب على جانب واحد لتتخذ موقعا على ظهور راكبيه .

الطُفَّة : وفي هذه اللعبة يتسلح كل صبي بأحد أعواد الخبزة الكبيرة ، ثم يضع صبي يقع الاختيار عليه بالقرعة ، عوداً صغيراً مدبب الطرفين «شظاظ» على أعلى حجر قريب ، ويضربه بعوده الكبير ، لكي يجعله يطير في الهواء قليلاً ، ثم يضربه وهو في الهواء ضربة عنيفة نفذه به نحو اللاعبين الآخرين الذين ينتظرون على بعد نحو ثلاثين خطوة أو أربعين ، فيحاول كل منهم أن يضد العود الصغير الحاد المنطلق بعوده ليحده من حيث أن . وطالما لم يفلح أحد في ذلك ، فإن العود يعاد للصبي الأول الذي يستمر في اللعب إلى أن يتمكن أحد رفاقه أخيراً من إصابته فبحل محله .

وحين يحاول اللاعب ضد «الشظاظ» ، غالباً ما ضرب «الشظاظ» رأسه أو كتفيه مما ينتج عنه أثار لا يصعب تصورها .

الذهذوة : وفي هذه اللعبة تتقطع غتر كثيرة برقا إذ يذحرج صبي حجراً كبيراً من أعلى مكانٍ منحدر قليلاً ، بينما يحاول الآخرون إيقافه «عكسه» بغيرهم ، ولئن يفلح في ذلك الحق في أن يذحرج الحجر «يذهبيه» .

عفى غقب : وهي لعبة بعدو فيها الأولاد نحو الهدف ، الذي يقع على بعد مائة خطوة تقريباً . ومن يوصل أولاً يهتف : (عفى غقب) وهو أمر للآخرين بأن ينحرفوا ويعودوا نحو نقطة الانطلاق غداً . وأول صبي يصلها يصبح الآن بالكلمات نفسها : (عفى غقب) ويطير مع الآخرين نحو الهدف . ويكرر ذلك حتى يتعب الجميع ، وأخيراً يهتف الذي يصل الهدف أولاً : (كركب خشب) أي : كرم خشب ، ويسقط على الأرض ، ويحذو الآخرون حذوه ، فيرفدون دون حراك برهة ، لكنهم بعد ذلك يبدأون في رفس كل ماحولهم وضربه بغض النظر عن يضررون !

● أهازيج تغنيها البنات ●

ليس للبنات ألعاب كهذه . لذلك فهن يؤلفن من وقت لآخر في الليل مجموعتين (جوقتين أو كورسيتين) ، ويغنين بالتناوب (ببسرّين) أهازيج متنوعة (سُيم).

تَفَوَّلُوا بِالْفَضَا يَا أَلَى طَلَبَ فَاي
فَاي زَيْبِ وَالرَّيْثُ طَيِّبَ الْفَالِ

المعنى :

تفادوا بأن تجلسوا في مكان فسيح ، يامن طلب فائي ، إن فائي طيب ، والطيب ذو الفأل الحسن .

حين توشك النساء والصبايا ، على ابتداء (سُجُورِهنَّ) يجتمع الرجال والشبان غير بعيد . وقبل الغارة أو أي حدث ذي شأن يهتم الرجل بأول كلمة تتلفظ بها المرأة أو الفتاة التي يحبها ويتفادون بتلك الكلمة ، أو يتشاهمون ، ويحاولون أن يجمعوا منها ما إذا كان سينجح أمرهم أو لا . ولمعرفة الفتيات بذلك فإنهن يبدأن بالأهزوجة المذكورة أعلاه .

الفضا ، أي السهل الفسيح الذي لا يمكن أن يُكْمَنَ للبدوي فيه ، فال حسن ، في نظره . وغير من أي فال ، على أية حال ، الحظ نفسه أو النتيجة الناجحة .

انْحَوِذُوا لِلْسُّبْرِ وَالزَّيْبِ بِالْبَرَاخِ
مَنْ هُوَ يَيْدُ الطُّبْرِ تَمْلُوقُ قَلْبِي رَاخِ
بَلْبِي عَلَى مَرْتِي يَاتَجِيَةِ الْمَضْبَاخِ
أَرْجِي طَرَفَ الشَّيْرِ قَبِي عَلَى الْمَبْطَاخِ

المعنى :

اجتمعوا (للسُّمْرِ)، والرواحل في المرعى ..

والذي يدرب الصقر ، لقد انقطع شريان قلبه ..

وسَيَقْدُ على زوجته ، يالها من نجمة صباح ! ..

أَرْجِي طَرَفَ الشَّيْرِ (الحزام)، وقفى على عمود الرحل ..

تدعو الفتيات والنساء الجميع لحفلهن (السُّمْرِ) لأنه ليس ضرورياً الاستيفاظ مبكراً في

صباح اليوم التالي ، لأن رواحل الشيخ لم يعدن بعد من المعرى . فيسمعن من يدرب صقره فبرئين له ، لأن الصقر ذهب بعيداً وعاد إلى زوجه . وقبل أن يرحلن يدعون أجمل امرأة في المعسكر بأن تقف في رحلها ، وتضيء ماحولها إضاءة نجمة الصباح .

نستعمل كلمة (أَنُحَوِّدُوا) أي (اجتمعوا أسفل) أو (انزلوا معاً) لأن (السمير) يعقد دائماً في مكان خفيض يتوفر فيه (الدُّزَى) عن الريح .

أُرْجِي طَرِيفَ السَّيْرِ : أرعى طرف جزائلك (بربلك). تلبس كل امرأة حزاماً ذا سُيُورٍ جلدية رقيقة على جسدها العاري ، وعند دخولها الهودج ترعى هذا الحزام لكيلا يضايقها خلال الرحلة .

قفي : قفي .

بَارِهِ بِاخَالِقِ اللَّيْلِ	هَاتِ الْمَطَرُ مِنْ سَحَابِ
مَازَالَ نَوَافٍ عَلَى الْهَيْلِ	وَالْمَالِ كُلِّ يَهَابِ
يَسْنَاهِلُ الْوَرْدُ وَالْهَيْلِ	وَالنُّذُلُ يَفْخَعُ شِبَابِ

المعنى :

ياربي ياخالق الليل أنزل المطر من سحابه ..

مادام نواف (مستمراً في الغارة) على الهيل فلا يجرؤ أحدٌ على مساس مال القبيلة^(١٤) . انه خلّيق بأن يَهْدَى إليه الْوَرْدُ وَحُبُّ الْمَالِ (الهيل) ! أما الرَّجُلُ النُّذُلُ فَلْيَنْكِحْ جَنَاحَ شَجَاعَتِهِ الْفَيَّيَّةِ .

الورد : تعني رائحة الورد ، بالإضافة إلى الوردة نفسها ، وحب النساء ، الهيل : (حب المال) يضاف للقهوة ، والتي تعد على هذا النحو لاتصّب لسوى الأبطال .

النذل : تعني هنا الشيوخ الأكبر سناً وهم الأكثر حذراً ، الذين لا يسمحون ، وعلى رأسهم الأمير التنوري ، لنواف وصحابه الشبان ، أن يوالوا الغارات حتى على القبائل المعادية ، لأنهم يمشون طلب الثأر .

يَارِبِيْ بِأَمَوْنٍ ثَنَوْنٌ عَلَى جُنَا
نَبِيْ بِيوتِ المِرْ ثَنَزَلْ مَنَزَلْنَا
نَزَحْلُ عَنْ هَالْدِيْرَةِ وَغَنُ وَسَطَهَا جُنَا
بَنَلْمُ أَبُو نَوَافٍ نَزَحْلُ وَيَنَزَلْنَا

المعنى :

ياري يامعبد ، أعدنا إلى أهلنا ..

نبي

نرحل عن هذه الأرض ، ونذهب عن وسطها ..

قلّيسلم أبو نواف يُرْخلنا من مكانٍ وَيَنَزَلْنَا مكاناً آخر ..

إن لم تَفْ بحاجة الرولة أراضيهم ، بينما يتوفر الحصب (الريح) في الأراضي المتنازع عليها ، فإنهم ، عادةً ، يعضون إلى المستوطنات التابعة لهم في البر الداخلي ، ويفرغون إمداداتهم ورحلتهم وبيوت شجرهم الكبيرة ، وَيَذْعُونَ النساء والأطفال والشيوخ هناك ، ويتنقلون بقطعانهم إلى تلك الأراضي لمدة شهر من الرعي ، على الأقل ، وهناك يسكنون بيوت شجر صغيرة ، وبعضهم في الفضاء ، ويطبخون طعامهم بأنفسهم ، أو يكلون إلى امرأة واحدة أو جارية الطبخ لعدد من البيوت .. ودائماً يقيمون بيوتهم بين قطعانهم ، مستعدين للدفاع عنها ليلاً ونهاراً . وسرعان ماتضيق النسوة والصبايا اللواتي يرافقنهم فزعاً بهذا النمط الحياتي . كما عُبِّرَ عنه في أغنيتنا .

بيوت العز : هي البيوت الكاملة التي تتطلبها مكانة مالكيها الاجتماعية . جالوا : «اختفوا من هذه المنطقة» إِنْجَالُ الغُيمِ : «اختفى الغيم ، تلامي» .

يَارِبِيْ بِأَمَالِيْ عَطَى قُضَا بَالِي
نُوقُ أَوْضَحْ عَالِي مَع وَسْطَ جَبَانِي
وَجُوزُ عَلَى بَالِي وَرَئِيسُ خَمْرَانِي

المعنى :

يارب يامن ليس لي سواء ، هب لي راحة بالي ..

(يَسِّرْ لي) أن أركب على جمل أبيض عالي الظهر ، وسط أهلي ،

وزوجاً موافقاً لحواي ، وزماماً^(١٥) ذهبياً صغيراً .

فضا بالي : الذهن الصافي ، والضمير الطيب ، والروح السليمة غير المغهورة .

تتمنى كل صبيبة أو امرأة أن تركب عند الظعن في هودج مزركش على جمل ناصع البياض .
وتفخر كل من القبيلة والأسرة بمثل هذا الجمل ، وتكون الزينات التي تُعلّق عليه واضحة
وضوحاً تاماً .

وتكون الفتاة وسط أهلها آمنة تماماً .

ولا يعلّق «الزمام» في الأنف في الحاضر عدا نساء رويليات قليات .

ياراكب	هَبْلَعْ	راعبة مأثومي عصاة
ياين ذكّر ضويحي	بادائيرة يابن لقاة	
إرعة مع ذويد عزيز	ومزرفل يسم الفلاة	
ولا لقيت الا الخلا	والذيب جلاني غواة	

المعنى :

أها راكباً بعيراً ودبعاً ، لا يحتاج راكبه حتى للإجماء بمصاه^(١٦) ،

من يذكر لي أنه رأي حيبي (الذي فدته) في أي مكان؟

من بحث عنه؟ من رآه؟

إنه مع ذويد من الإبل قليل قد غزب في المرعى ، وإن منطلق إليه في الفلاة .

لكني لم ألّب سوى الخلاء الذي أبعدني عنه عواء الذئب .

لم يجد العاشق حبيته في المنزل الجديد ، فشرع يسأل ويبحث عنها . لقد اعتادت أن تركب

في هودج على جملٍ وديعٍ (مَيْتَلَع) ذي هيكلٍ قصيرٍ ، وتشير لحبيبتها بالعصا التي تسوق بها مطيتها .

الدَّوْدُ : الدَّوْدُ الصغيرُ من الإبل ، يكون للعائلة الواحدة ، وإذا خرج الابن ، الذي يهتم عادة بالقطيع ، في غارةٍ انتقل الاهتمام به للابنة .

العَرَبِ : هو المرعى الذي يكون على مسافةٍ من المنزل بحيث تقضي الإبل ثلاث ليالٍ أو أربعاً ، على الأقل ، بعيداً ، ولا يردن الماء أو يأتين للحي حتى اليوم الخامس .

مَزْرَقِل : مثل (ذومل) تشير إلى خطوة البعير العجل .

الفَلَاة : المرعى ذو العشب الطيب والأشجار الدائمة الاخضرار .

يُسَدُّوا مِنَ الزَّمِيلِ غُلَيَّانَ شَيْلَ اللَّهْدِ مَائِذَانِيَّةَ
وَالْحُكْمُ حُكْمُ ابْنِ شَعْلَانَ مَقْرُودٌ^(١٧) يَا لَيْلِي تَرَايِيَّةَ

المعنى :

ضَمُّوا الرُّحْلَ عَلَى الْبَعِيرِ الْمُسَمَّى «غُلَيَّان» مِنْ بَيْنِ الرُّوَاهِلِ . .
أَنَّهُ لَا يُحِبُّ مُطْلَقًا الْجَمْلَ الثَّقِيلَ . .

وَالْحُكْمُ حُكْمُ ابْنِ شَعْلَانَ يَا لَيْلِي حَظٌّ يَأْمَنُ تَعَارُضُهُ !

الزَّمِيلُ : تطلق هذه الكلمة على الإبل التي تحمل الأثقال ، وهي دائماً جَمَلًا تُحْمَلُ بِيوتِ الشَّعْرِ وَالْمُزْنَ وَجَدَّةُ الشَّيْخِ كُلِّهَا . وفي نخوة الرولة تدعى القطعان كلها «غُلَيَّان» التي عُثِيَتْ الإبلُ بِهَا هُنَا فِي كَلِمَةِ (غُلَيَّان) .

اللَّهْدُ (الجمع اللهود) : هي الجراح الصلبة أو القروح على ظهر الجمل أو جانيه التي يسببها الحمل الثقيل أو المورعُ توزيعاً غير متساوٍ ، أو الرحل غير المستقيم سواء كان زحَلٌ جَمَلٍ وَحَدَايَجُهُ ، أو ركوبٌ «شَدَاد» فَإِنْ اخْتَفَتْ تِلْكَ الْبَقَعُ الصَّلْبَةُ فِيهَا وَنَفَعَتْ ، وَإِنْ صَارَتْ فُرُوحًا وَانْفَحَتْ فَإِنَّ النَتِيجَةَ هِيَ الْجِرَاحُ الْمُتَقَيِّحَةُ (دُبْرَه ، الجمع : دُبُر) .

الإبل التي يملكها الرولة لا تطبق الأثقال التي تخرج ظهورها . وأسرة ابن شعلان الحاكمة
لن تطبق المعارضة .

بَارِئَةً	بَنِيَتْ	بُدْتُ	عَرَاوِيهَا
وَرُوحَتْ	زُرْفَات	بَرْجَى	العشا فيها
مُحَوَّلَهَا	مُيَفَّة	بَفَرَح	بطاريها

المعنى :

يا لها من (رُبْعَةٍ) بُنِيَتْ ... لقد شُدْتُ عُراها ..

وفد راحت [الأمهار] زُرْفَات .. وكل فارس يرجو العشاء فيها [أي في الرُبْعَة] ..

وتُعَبَّدُ مُيَفَّةُ العشاء .. تلك المرأة التي بفرح الشبان اذا ذكروها .

الرُبْعَة : قسم الرجال في بيت الشيخ ، كما تطلق أيضاً على بيت الشُّعْر كله .

العراوي : العُرَى ، أو عُقَدُ حبال يَتَبُّ الشُّعْر المثنية التي يمكن توسيعها أو تضيقها حسب
قوة الريح .

زُرْفَات : العبيد والخدم والشبان الآخرون الذين يخرجون ، في المساء ، على ظهور
الخيل ليحموا القطعان العائدة من أي هجوم ممكن . وكلمة «رُوح» تحمل دائماً دلالةً على
السكن الليلي .

يَاخِييَ	يَاغَزُوِيْ	طَرَيْتُكُمْ	لَايَضَام
وَسَلَّاحُكُمْ	مُنَجَّل	يَقْضُمُ	ضَلِيبُ العظام
عَدُوَّكُمْ	مُسَجَّل	عَيْتُ	عَيَوِيَّةُ تنام

المعنى :

يَاخِييَ ، يا من هو مثلي في النسب، .. إِنَّ من تطرحونه عن حصانه لا يَضَام ..

وسلَّاحُكُمْ مشهور ، يَكْثُرُ القوي من العظام (١٨)!

وعَدُوَّكُمْ خائفٌ ، أبت عيناه أن تغمض!

تُثْبِتُ الصَّبِيَّةَ عَلَى بِسَالَةِ حَبِيبِهَا ، الَّذِي هُوَ مِنْ أَقَارِبِهَا الْأَدْنَى . حِينَ تَقَالُ كَلِمَتَا «عَزْوَةٌ لِي» بِسَرْعَةٍ فَكَأَنَّهَا كَلِمَتَا «عَزْوَةُ الْي»، لِأَنَّ الصَّوْتِ «إِنْ» يَضَاعَفُ الْمَقْطَعُ التَّالِي . «لِي عَزْوَةٌ تُشِيرُ إِلَى الْقَرَابَةِ مِنْ جِهَةِ الْأَب - «مَنْ ابْنُ يَعْزَى فُلَانٍ؟» تَعْنِي : «إِلَى أَيْنَ يَنْسَبُ فُلَانٌ؟ مِنْ أَيِّ قَبِيلَةٍ هُوَ؟» يَعْزَى مِنْ آلِ فُلَانٍ «وَيَنْسَبُ لِآلِ فُلَانٍ».

الطَّرِيحُ : تَعْنِي الْمَقَاتِلَ الْمُنْدَحِرَجَ عَلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ مِنْ عَلَى سَرَجِهِ .

بِأَخْبِي	بِأَمَالِي	وَرَاكَ لِي	يُسْبِيَانُ
بِأَخْبِي أَبْنِي	أَمَارِي	يَلْمُ	الْمُسْرِبَانُ
فَوْقَ الشَّمْعِ عَالِي	يَنُوفُ	عَلَى الْبَعْدَانُ	
أُمُّ غَنِيَّةٍ	وَأَبُوهُ	مِنَ الْعَدَوَانُ	
وَالْأَبْنُ	مَجْنَمُ	سُودِ كَمَا	الْبُسْرِبَانُ

المعنى :

يَا أَخِي ، يَأْمَنُ بِسَاوِي كُلِّ مَا أَمْلَكَ ، إِنْ أَمُكْ وَأُخْتُكَ كَلِمَتَاهُمَا تَمْتَقَتَانِي^(١٩).

يَا أَخِي إِنْ أَوْدَ أَنْ أَظْهَرَ شَجَاعَتِي حِينَ يَلْتَمِسُ شَمْلَ الْقَوْمِ ..

عَلَى جِلِّ أَبْيَضٍ عَالِي الظَّهْرِ ، يَنُوفُ حَسَنَهُ وَقُوَّتَهُ عَلَى حَسَنِ الْجِلَالِ كُلِّهَا وَقُوَّتَهَا .
أُمُّ عَتِيَّةٍ ، وَأَبُوهُ مِنَ الْعَدَوَانِ .

وَأَلْفُ مَجْنَمٍ (قِطْعَةٍ) مِنَ النَّوْقِ ، سُودُ الْأَلْوَانِ كَالْغُرْبَانِ ..

تَمْتَقِي هَذِهِ الصَّبِيَّةُ أَنْ تَصْحَبَ عَرَبِيًّا فِي أَشَدِّ الْفَنَالِ ضَرَاوَةً ، أَمْلًا فِي أَنْ تَكْسِبَ وَدَّ أُمِّ حَبِيبِهَا وَأَخَوَاتِهِ .

وراءك : «وراءك» تُشِيرُ هُنَا إِلَى الْأَقَارِبِ الْإِنَاثِ . يَجْلِسُ أَعْضَاءُ الْأُسْرَةِ الذَّكَوْرُ فِي الْجِزَاءِ الْمَخْصَصِ لَهُمْ مِنْ بَيْتِ الشُّعْرِ وَظُهُورَهُمْ إِلَى الْحَاجِزِ الَّذِي يَفْصِلُهُمْ عَنْ قِسْمِ النِّسَاءِ . وَآيَ شَخْصٍ لَدَيْهِ شَأْنٌ مَعَ الرِّجَالِ يَقْعُدُ مُوَاجِهًا لَهُمْ ، وَإِنْ أَرَادَ ذِكْرَ أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْإِنَاثِ قَالَ بِإِيجَازٍ : «وراءك . وراءك».

نُصَّةُ الْعَرَبَانُ : تعني «العرب سيجتمعون لبضد هجوم معاديه» .

تقطن قبلة عتية في شرقي المدينة ومكة والغدوان إلى الجنوب الشرقي منهم .
ولون الإبل السائد في نجد هو الاسود «الاملح» .

بَارِبْ	تَسَاعَفْنِي	عَلَى كُلِّ مَا أُرِيدُ
فَوْقَ	أَوْضَحِ عَالِي	بُرْزَيْنِ الْمَعَالِيْقُ
وَعَلْبِمِ	يَنْفِي	لِيَا يَنْبَسْتِ الْبُقُ
صُفْرِ	اسْحُوْبِيَّةُ	بَقَرَمِ الْاَوَالِيْدُ

المعنى :

باربى أعني على تحقيق كل ما أريد ..

[أود أن أجلس] على جبلٍ أحمر اللون عالى السام ، في هودج مزركش ...

(ومعني) شاب يحميني ، حين يحيف الريق ..

شاب بطل ، على فرس صفراء أصيل ذات ذيلٍ طويل ..

زين المعاليق : رحل «قنب» قد زُركش بزيناتٍ كثيرة ، ووضع على حمل أبيض عالى الظهر .

غلام ، تعني رجلاً شاباً ولكن بأسلاً . يحيف الريق من الخوف حين يهجم العدو على القبيلة الغائعة ، ويحاول سلب الحسان من كل من الإبل والحوادج المزركشة . إنها ساعتئذ تحتاج مدافعةً شجاعاً .

يَاسْمَا	رَبِّنَا	بِذَرَاكَ	بِذُرْجِ
نَطْلَبُكَ	طَوْلَةَ	عَمْرٍ	مَايَنْفَبِرُقِ

المعنى :

يَاسْمَا رَبِّنَا^(٢٢) . إننا نلوذ بحماك ..

(ياربنا) نطلبك ألا نفرق طول العمر ..

لن تفارق الحبيبة حبيبها .

ريد بفسى ريد سَحَب تَرَج ماما
 پلفى على شوقه واخْلُو لاماما
 پفجبه بالظلمة ملاعج نئاباما

المعنى :

المحب الذى يشاقق للحبيب ، كالسحب التى يهطل ماؤها ..

وحين يأتي إلى حبيبته ، ذات شفاه ما أحلاها ..

يمعجه في الظلام نلالؤ ثناياها ..

يامرخبا يانرخبا يظونرش القبلة بفسى
 وليا بفسى جاننا الحيا

المعنى :

يامرحبا يامرحبا ، بالمسافر نحو القبلة (الجنوب) الذى عاد) وإذا عاد جاءنا المطر .

طوبى القبلة^(٢١) : ربح الجنوب ، التى يتبعها عادة المطر .

يساطارش القبلة غيئت جيان؟
 والي ورا بفسرى والي بخوران؟

المعنى :

أيها المسافر القادم من القبلة (الجنوب) أرايت أهلي ، ومن وراء بفسرى ، ومن بخوران؟ .

ترجى ربح الجنوب أن تأتي بالمطر أيضاً إلى المناطق الواقعة إلى الشمال الغربي من بفسرى ،

وكل المناطق التى حول حوران لتجد قطعان أهل الفتاة متجمعاً حين ينزلون هناك .

● التعليقات ●

- (٥) هذا فصل آخر من كتاب (أغلاق حرب الزولة وعاداتهم) الذي يقوم الكتاب بترجمة قسمه . وقد نشرت (الدارية) مصلحتين آخرين منه في عدديها الثاني من السنة العاشرة الصادر في الحرم سنة ١٤٠٥ على الصفحات : ١٣٠ - ١٥٢ .
والأول من السنة الحادية عشرة الصادر في شوال من السنة نفسها على الصفحات : ٩٥ - ١٢٢ .
- (٦) في الأصل : آل أبيصر .
- (٧) هكذا في الأصل ، ولعل المصواب «فيل» (الجمع : عيال) كما في كثير من اللهجات الأخرى .
- (٨) في الأصل : بتعاله *tearale* ، وهو تحريف .
- (٩) هذه ترجمة تفسير المؤلف لمعنى الآليات ، ولا يبدو أنها تلتزم بمعنى السبب .
- (١٠) هذا تعريب تفسير المؤلف لكلمة (كز) وهو معنى غير معناه المعروف لدى مختلف القبائل الأخرى ، وهو : أرسل أمر من كز ، بكز : أرسل ، برزبل .
- (١١) هكذا دود الرزب باختلاف الروي .
- (١٢) ترجمة معنى صدر البيت الثاني حسب ترجمة المؤلف : «لاسمع بالبحارهم وأهم فطنوا لهبنوا» .
- (١٣) المؤلف : «... فإني (في مكانك) عليّ إلا أني إن غيب» .
- (١٤) المؤلف : تواف ، بأطوره الحزن .
- (١٥) ترجم المؤلف معنى صدر البيت الثاني مترجحه هكذا : «فأي قطع سبحانه» ونرى أنه بعيد عن المعنى المراد
- (١٦) ترجم المؤلف «الأشبح» : الرمادي ، والمعروف في اللهجات الأخرى أنه «الأمر الشرب بياض» . ويستبعد أن يكون عند الزولة هو الرمادي .
- (١٧) وهنا كان الآخر يرمي القوسان رجمه ، هذه ترجمة شرح المؤلف للعبارة الأخيرة ، وقد ابتعد نوعاً ما عن المعنى وإن كان المفسرون واحداً .
- (١٨) هذاهم ، جمع غذف ، وهو في المعاني وبفتح ، أيضاً ، وهو مؤلف من حيلتين يتصلان برفعة صورية بمعجم اليد المبسوطة ، يوضع فيها حجر ، ثم يدبرها الرامي عالياً ، ويطلق أحد الحيلتين فيذهب الحجر . ويستخدم عادة في طرد الصائدين أو الحراد من مزارع الحبوب ، ويستخدمه الصبية عند مايتشاكرون .
- (١٩) المؤلف : «فكل يملكك العدو لشدة» وهي ترجمة خاطئة .
- (٢٠) الزمام (وتصغيره زُمِيم) : حلقة تتحل بها المرأة تعلقها في أحد منحربا بعد ثوبه .
- (٢١) أي أنه سويح لا يحضر وأكده حلته على السبر . أما المؤلف فترجمه بما تعريبه «بأس تركب عالياً عبراً وديماً» إنها لا تشير بمصاعدها وشرح ذلك مما بعد بأن المقصود أنها تشير لحياها بمصاعدها الذي تستعمله إنشوق حملها . ورغم هذا الشرح مازلنا نرى أنه غامضاً في ذلك . من عادة الشعراء مدح الطيبة بأنها لا يحضر سائلها إنشوقها .
- (٢٢) في الأصل (منزور) بتدوين الدال ، وبه يتكرر الوزن .
- (٢٣) المؤلف : ويكرر عظام الظفر فينصلها إلى قسبيد .
- (٢٤) هذا تعريب ترجمة المؤلف . أما معنى صدر البيت فهو : «إن غلقتك قوماً كارهين في» .
- (٢٥) المؤلف : «ها اسم ريتاه» والكلمة في البيت «سياه» وليست «اسم» ويبدو أن المؤلف خلط بينها .
- (٢٦) هكذا في الأصل : *pasvut as-sah* . وهي في البيت في الأصل طويرش النقلة *pasvut as-sah* .



أَخْلاَقُ عَرَبِ الزَّوَلَةِ وَعَادَاتُهُمْ

(١٨٦٨ - ١٩٤٤م)

ترجمة الدكتور محمد بن سليمان السديس

المستشرق التشيكوسلوفاكي ألويس مورل

بَنِيَّةُ الْمُجْتَمَعِ (*)

• حَضَرٌ وَبَدُو •

يسمى الزولة البشر إلى : « حضر »، أي أولئك الذين يسكنون بيوتاً ثابتة،
وه عرب »، أي أولئك الذين يسكنون بيوت شعر قابلة للنقل، لذلك فإن
« العربي » هو الاسم الذي يطلق في أنحاء الصحراء كافة على ساكني الخيمة السوداء دون
غيرهم. وتستخدم عبارة « عربنا رحلوا » عربنا نزلوا » للإشارة إلى أفراد العشيرة الواحدة
وه عرب القبيلة » هم أفراد القبيلة الواحدة » وه عرب الدَّيْرَة » هو الاسم العام للبدو الذين
يسكنون المناطق المزدحمة، وعلى تخومها، بغض النظر عن القبيلة التي ينتمون إليها.

ونعبر كلمة « عربان » عن الانتباه لعشائر أو قبائل شتى. فعبارة : « عربان على ضُفَيْر »
مثلاً تعني أن ثمة أفراداً من عشائر وقبائل شتى يجتمعون في ضواحي (ضُفَيْر)، وإذا غاب الرعاة
أو الصيادون بدوياً غير معروف في منطقهم سألوهم : « إئت من أين بها ولد ؟ » أي : من أي
قبيلة أنت أيها الرجل ؟ فإن قال : « من هُنا » أي : من هؤلاء العرب. سألوهم : « فاهمين
أنك من العرب ما ز من أي العربان ؟ » أي : نعلم أنك من العرب، لكن من أي قبائل
(العربان) المختلفة ؟.

ويقيم فاطنو المنازل (الحصر) إلى : (قراؤته - ويعرف الواحد كقرؤاني) ، أي أولئك الذين لا يبرحون مساكنهم الدائم أبداً و (زغو) أو (زحيه) ، أي أولئك الذين يستبدلون مساكنهم الثابتة أثناء موسم الأمطار بيوت شعر قابلة للنقل .

وبعد بذر المحاصيل في الحريف يريح الرعو أو الرعيه فراعهم ، ويمعون بقطعان اغنامهم ومعزهم صوب السهوب ، حيث يغطون في بيوت الشعر السود المنسوجة من شعر المعز ، وفي الحزام الرمادية المنسوجة من القطن . وفي أواخر أبريل ومايو ، حين يدنو أوان الحصاد ، يفلون واجمعين من السهوب إلى مساكنهم .

ويتألف (العرب) من البدو (الشواها) أو (الشويان) . وللشواها شيان أسودان ه لثم شوادين : بيوت الشعر السود المنسوجة من شعر المعز ، والقطعان والسود من صان ومعز . وهذه القطعان لا تمكنهم من النعل داخل الصحراء ، ما بشرقون) تنصر إقامتهم على الأراضي ذات الماء الوفير ، والتي تنمو فيها الأشجار الخولية كل عام . وهم يقيمون على شفا الصحراء ، ولذا يعرفون به زخم الذير ، أي : أثار (سكان) البلد الماهول . ولا يقومون بغزوات مكثفة (غزو) ، ويسلمون للبدو ، على اعتلاقهم ، بالنعوق ، ويدعون لهم إنارة غاوة) لحمايتهم .

والبدو عرب يربون الإبل دون غيرها من الحيوان ، أو في الأقل بشكل رئيس ، ويمكنون داخل الصحراء ، مدة عشرة أشهر (يفرقون) ، ويقفون في أحر يونية إلى حافة الصحراء (يفرقون) ، ويسكنون بين القوم المستقرين حتى منتصف أغسطس ، أو بداية سبتمبر ، فيتردون بالفتح والألبسة والأسلحة ، ثم يعودون إلى الصحراء .

وفي حافة الصحراء ، تلاحظ زيادة السكان المستقر ، أو نصفهم المستقر . وإن ضمت الحكومة لسكان المدن والقرى أمناً تاماً للحياة والممتلكات حول رعاة المعز والضان مزارعين نشطين ، فيبتون الأكواح في كل صوب ، وتظهر قرى صعبة للوجود ، ويمسي الرغو والشواها أناساً مستقرين مسالين . . فيكون الاعتا ، بمعزهم وأعتامهم إلى عشاير بدوية مختلفة ، لا تعود إلى الصحراء ، بل تظل في الحد بين القرى والمستوطنات والتي تتحول إلى شواها .

وإن لم يكن ثمة حكومة قوية في الأقاليم الماهولة اختنى الأمن على الحياة والممتلكات ، وبلا ذلك نقص في عدد السكان ، واستبدل بالمنزل الثابت بيت شعر قابل للنقل ، وغدا الفلاحون

شواها. وعلى أية حال، لا يصبح الغوم الذين سبق أن استقروا بدواً حقيقيين أبداً. لأن البدو الحقيقيين لا يعاملوهم على قدم المساواة معهم أبداً. ومن هنا فإن لفظ (بدوى) أضيق كثيراً من لفظ (عربي).

وليس سكان شبه الجزيرة العربية جميعاً، في رأي الرولة، عرباً حقيقين، بل العرب هم أولئك الذين يتحللون من البيوت الغائبة للطفل سكناً وحسب. ولكن ما العرب جميعاً بدو. بل البدو هم أولئك الذين ينصرون معظم العام في خوف العلاء، ويفومون بنزوة الإبل في الغالب، دون غيرها.

وتعترف القبائل كلها بأن الرولة بدو حقيقيون. وحالسون إهم : « يعبدون الظفنة، واسمين الظفنة » أي : يعبدون الظفنة. واسعو الطمعة. يعي : إذا غلغوا وصلوا إلى ديار ناتية، وإذا طلعوا أصابوا بمن يطعنونه مفضلاً^(٢٦). وهم : « أغل السنان والعنان » أي : أهل الرماح والخيول. فهم محاربون على صهوة جيادهم لقدرة على حمل الرماح، والتحكم في الخيل.

• قرابة الدّم • بنو العم

يتمى الرولة لتلك المجموعة الكبيرة من القبائل المسماة بـ (خنزرة) المنتشرة في أنحاء شبه الجزيرة كلها تقريباً، والتي تنقسم إلى فرعين جنوبي وشمالي. وتؤلف خنزرة الحويبة القبائل التي يتمي إليها آل أبا الحبل، وابن ضياح، وابن سمود، وعشائر شرق من فحطان والمثقف. أما خنزرة الشمالية فهم : صنا مسلم، وضنا بشر. وتشمل العشيرة الأخيرة : السبغة، والقديعان، والغمارات، كما تشمل الأولى : ولد علي، والرولة الذين يعرفون أيضاً بـ (آل جلاس).

ولا يصفى حتى (ابن العم) إلا على القرابة من جانب الأب. وكتبوا ما نسمع العارة : « من قديم جدّه ما هو ابن عم كيف يصير لنا ابن عم » أي : لم يكن جدّه قديماً ابن عم لنا، فكيف يصير هو لنا ابن عم. أو : « بني صخر أغل لنا من الممارات، ولكن بالقرينة هذوون أقرب لنا من هذوونك، بني صخر أحناب مالنا ولهم جد واحد » أي : بني صخر أحب إلينا من

العمارات. لكن من حيث القراءة، هؤلاء أقرب إلينا من أولئك. بنو صخر بجانب ليس لنا وإياهم جد واحد».

نزل ضبيهان بن عثمان السرحاني مع الرولة طوال ما بنوف عن ثلاثين عاماً (في سنة ١٩٠٩ م). وفزوج امرأة (رويلة)^{١٣}. ونزوجة أخته (مها) الأسير سظام الذي أنجبت له ابناً هو (طراد).

وكان ضبيهان يشترك مع الرولة في الغارات الحربية. ويرتدي زيهم، ويتحدث أبناؤه كما يتحدث الرولة، ومع ذلك فبدنوا متعبين للسرحان وما يؤلف (الأهل) هم الأصنام (الغنم) لا الأحوال. (الخوال). ولو قتل أحد أبنا ضبيهان أخذ الرولة للجا الابن إلى (أهله) السرحان ولا بد من أن يقتصر لدم الرولة بدم رجل سرحاني.

وعالياً ما تحتاج إلى الأضارب من طرف الأب أكثر من الاحتياج إلى الأضارب من طرف الأم : « عصابة الرزم من غوالة » - « عصابة غصنة وغوالة أرحام »^{١٤}.

ويحظر بين من يربطهم دم القرابة (أبناء العم) ربط اللص الأسير ، « ما عليه الرباط »، أو الإغارة بعد منتصف الليل، أو قبل شروق الشمس مباشرة الذي هو أطيب وقت للراحة « ممنوع عليهم البهاث والضباح ». والدبة محددة بخصمين بعيراً، وفرنس، ومعدات أسلحة

وتحج العشائر التي لا تلت إلى القبيلة بوشحة الدم. والتي يعود أصلها إلى أجداد مختلفين تماماً، قرابة الدم (بني العم) أحياناً إذا رغب الشيوخ. فإذا كان شيخاً قبليتين لا قرابة بينهما. أي أن كلا منهما (براني) أو (أجنبي) عن الآخر، لكنهما متحابان. أعلننا أن كلا منهما سيمنح الآخر حق القرابة (حق البي عم) أو (حق البعتم) فائلين : بيننا وبينكم صداقة البعتم سواء البعتم « أي : بيننا وبينكم صداقة ابن العم لأن عمه. وعليه يكون واجتهاً حامية جبار (فصر) كل منها وضيفه، وروعة في السر (خوة). حتى وإن كان عدوماً الخفي. كما أن واجب كل منهما إطلاع الآخر على حركات الأقوام المعادين. ولا فية، في الواقع، مثل هذه الصداقة إن لم يلتزم بها الشيوخ. [إما تكون] « تصليح الحكمي من غير متفقه ». وإن قتل أحد أفراد هاتين القبيلتين رجلاً من القبيلة الأخرى لم يدفع الدية التي يبلغ فدوها حسين بعيراً. كما هي العادة مع (بني عمه) الخفيين، لكنه يدفع سماً وحسب، كما في حال الفائل التي لا قرابة بينها (أجنب) إن فُض على لص من مثل هذه القبيلة فيجوز نفيده. وأكثر من ذلك يجوز مهاجمة مثل هذه القبيلة بعد منتصف الليل، وهو أمر محظور مع (بني العم) الخفيين.

• آل وأهل •

يقول الرواة إن فيلثهم تعرف بـ (قبيلة) أو (بديدة) أو (عشيرة) الرواة . ولكلمة (عشيرة) معنى (بديدة) أو (قبيلة) نفسه . ويشار إلى العشيرة ، وأحياناً إلى الأسرة ، بكلمة (آل) التي غالباً ما بدلت بها الأداة (آل) ، مع أن كل ويول يعرف معنى الكلمة الأولى ؛ وتدل كلمة (آل) عموماً على ما تدل عليه (بني) أو (إبن) ، ومعناها أوسع من معنى (أهل) . ومعناها أوسع من معنى (أهل) .

و (فريق) هو الاسم الذي يطلق على جماعة من الأقرباء الذين ينحدرون من جد واحد . و (الفريق) أوسع أيضاً من (الأهل) .

و (الأهل) جماعة محددة بالنسبة للفرد وحسب ، فأهل الرجل يختلفون عن أهالي أبيه أو ابنه (مع أن الأهالي الثلاثة في هذه الحالة يضمون أفراداً كثيرين مشتركين) . ويؤلف أهل الرجل خلقة حتى الجيل الثالث - أي أبنائه أو أحفاده وأحفاد أبنائه - وينضمون أيضاً سلفه حتى الجيل الثالث - أي أباه وجده وجد أبيه - . ومن ينحدرون من هؤلاء الأسلاف حتى الجيل الثالث من كل .

والنسب معدود عبر سلسلة الذكور وحسب . وإن أبعد الفروع التابعة لـ (أهل) المرء هم أبناء ابن عم أبيه .

وثمة طريقة ميسرة لتقرر فيما إذا كان (من) من الأهل أنفسهم الذين منهم (ي) و (هي) أن نعد من (من) حتى الحد المشترك لكل من (من) و (ي) ، ومن هناك نبدأ في العد التنازلي لـ (ي) . سيكون (من) و (ي) من (الأهل) أنفسهم شريطة ألا يُعد بين (من) و (ي) أكثر من ثلاثة أجيال أيضاً .

ونفسر فكرة (الأهل) هذه معرفة البدوي بجد أبيه ، في حين من المرجح أن يكون على جهل تام بجد جده .

وقد أخبرني رفيقي بلههان بالإبضاح التالي لأهله هو : أنا ابن ضيري الذي انحدر من مضرب . خلف (ضيري) داغراً وصالحاً . وخلف داغراً إبراهيم و (بقري) . وإبراهيم ابن خلفي ، أي بلههان ، وجيمان ، وغشوان ، بينما كان أبناء بقري هم : دفران ، ورشد ،

ومبرئيد. وانه صالح هم : نبي، وجلبدان. خلف نهي (نبشول) وذباب، وكان جلبدان (نجيب) (و صبح). كل هؤلاء اقارب.. اهل.. ولا أحد غيرهم. وصل (أهل) إلى الورا حتى نَصَرَ أبي بيري وعد الله، ولكني لا أخفل بذرية عبد الله سائاً. فلن يدافعوا عني، ولن أذاع عنهم.

ولم يعرف بليهان أي شيء عن أبي نصارٍ خلا أنه يحذر من أهل مضرب، ولذلك عُرف بأبي مضرب، وأن له أخاً اسمه (معروف). لكن لا بليهان ولا أي من أهله استطاع معرفة عدد الأجيال بينه وبين مضرب. كان بليهان بعد نفسه بعيداً من ابن دُفَران ثلاث درجات، (أبي بـ ١ = أبيه، ٢ = جده، ٣ = عمه)، وعلى نحو شبهه بذلك، كان بعد نفسه بعيداً بخمس درجات من ابن عمه غير المباشر (نجيب).

وكلمة كبر الرجل اتسعت دائرة أفعاره، شريطة أن يحتلف أبناء، بطبيعة الحال، لأن (أهله) عندئذ لا يؤلفون أباه وجدته، إن كانوا خبيين، وفروغته وحسب، بل أبناء وأحفاده أيضاً.

و (أهل) الرويل يحسونه من الجور، كما بناغم أذى ما يرتكبه من حرم. ومثل هذه الغرابة العرقية يعرف أيضاً به (أهل). وهذا المثل، أي (الأهل) بمدلول الكلمة الفسني، يعني عادة إما الأب أو العم، أو الأخ الأكبر.

كان لسعود أبي الأمير النوري بيتُه الخاص به. ولم يكن إذا قال : « سأذهب إلى أهل » يدخل ذلك البيت أبداً، بل بيت أبيه الأمير النوري. وإن لم يكن الأخير حاضراً أسرع إلى أخيه الأكبر نواف.

والإعلان الجاز بأن شخصاً ما قد قُبِل في (الأهل) العلاتي قد محل محل قرابة الدم.

و (أهل البيت) تعني : امرأة صاحب البيت، أو امرأة أخيه، لتكون البيت بكلمة من به تحت إمرتها. وترادفها عبارة (راعية البيت) أي سيدة البيت. ويدعو الضيف (أهل البيت) إن أراد خاتماً لغراشه. ويدعو البدوي الذي يغلظ بيتاً له زوجته (أهل البيت) و (أهل بيتي) أو (راعية بيتي). وإن كان له أطفال فإنهم تابعون أيضاً له (أهل البيت). ولا تدعو الزوجة زوجها أبداً (أهل البيت) أو (أهل بيتي)، بل (راعي البيت) أو (راعي بيتنا) : رب الدار، رب دارنا. وإن كان لها صغير فإنها تدعو زوجها (أبو فلان). وطالما كان الرويل يفهم

في بيت أبيه فَمَحَالٌ أن يتكلم عن (أهل بيته) ، ولو كان متزوجاً وله أطفال ، فهو ومن يعول
 ينتمون أسرة (أهل) أبيه . وإن توفي الأب وطل أبنائه وأسرعهم في بيته عُرفَ ببيت أبنائه فلان
 (بيت قُبال فلان) ، أو بيت أمهم إن كانت على قيد الحياة . و (أهل البيت) في مثل هذه الحالة
 إما أن تكون الأم المعجوز ، أو زوج أحد الإخوة المسؤول عن البيت . وإن لم تستطع زوج الأخ
 الأكبر الانسحاب مع أزواج الإخوة الآخرين قال لها زوجها : « من الآن فصاعداً سنمكثين في
 هذه الزاوية ، وستكون غلانة » أهل البيت « أو « راعية البيت » . و (أهل البيت) عند الرواة
 نطاق (العيلة) عند القبائل الأخرى .

ونعني كلمة (أهل) ، في مدلولها الأوسع ، القبائل المتميزة ، والتي تتوحد ، في الغالب ، من
 أجل تأمين الحماية المشتركة لنفسها . وعلى هذا يمكن التحدث عن (أهل الجبل) ، وهي عبارة
 يفهم منها ، القبائل المتفرقة ذات الأصول المختلفة ، التي تخيم في الأجزاء الشرقية والجنوبية من
 سلسلة جبال حوران .

و (أهل الدَّهْرَة) هم سكان القرى المختلفة الذين لا يرحلون أرضهم البتة ، فأهل الكرك
 هم القبائل المختلفة التي تؤلف سكان مدينة الكرك ، وهكذا .

و (العيلة) تعني : « الأسرة التي لها مسكن وموقف مستقل » . « العيلة أهل الجُدُر والنَّار » .
 وأي رجل مستقر له مسكن خاص به ، وفيه زوج نطبخ له الطعام ، يقال إن له (عيلة) .
 ويستدل الرواة بكلمة (فرية) كلمة (صتنا) التي تدل على الأشخاص المتحددين من أرومة
 واحدة لتحديراً بعيداً جداً ، بغض النظر عما إذا كانوا قد التحدروا حقيقة من جد واحد ، أو أن
 القرابة كانت شجرة بُنِي .

• الشيوخ •

نعني كلمة (قوم) : « البدو الذين يحكمهم شيخ » . لذلك لك أن تقول : « قوم ابن
 شعلان » أي : هو من قوم ابن شعلان . « قوم ابن مجعل يخيمون هنا لك » . « قوم ابن
 جندل اشركوا في الغارة أيضاً » لكنك لن تسمع أبداً عبارة : « أولئك (قوم) الرواة » أو :
 « إنه ينحدر من (قوم) القرحة » .

وإذا تحدث الأمير ابن شعلان عن « جماعى »، ففي ذهنه مختلف العشائر التي تليها
أوامره، ونهب لعموه (بقرعون) . وتكاد كلمة (جماعة) تعني ما نعبه كلمة (قوم) .

ورثة الشيخ وراثية في أسرة محددة (آل) . ومن المعتاد أن يكون الشيخ المعترف به هو
القرود الأنسب حسباً وعضلاً، وليس ضريبة لازمة أن يكون أكبر أفراد الأسرة الحاكمة سناً.
وتستمر الأسرة الحاكمة عند العشائر والقبائل حاكمة حتى تنقرض، مع أن سلطتها قد نبتت ونمتاً
شديداً، وقد تتخلل عنها عشائر عديدة. ويطلق بالشيخ العام، أو الأمير الذي يمثل قبيلة
برمتها، أو عدداً من القبائل، والذي يصبح له الشيوخ الآخرون طوعاً أو كرهاً، أسرع ما
يطلق بالشيخ العادي، وتتحول رتبته إلى عشيرة أخرى، وأكثر ما يجري ذلك إذا لم يتميز الشيخ
العام وارث الرئاسة بمقدوره حربية . فبديرة، عندئذ، شؤون قبيلة الخارجية بصفته (شيخ
الباب)، في حين توكل أمور الحرب إلى رجل معروف بالإقدام وحصافة الرأي، وإن كان من
عشيرة أخرى. ويعرف مثل هذا الشيخ بـ (شيخ الشداد) أو (شيخ الحرب) . وإن أفلح في
فهر العدو، وتوصل إلى فرض سلام، لصالح القبيلة انضمت إليه عشائر أخرى عدة تطبعه في
زمن السلم، ثم تتبع ذلك حروب مجتفع فيها الشيخ العام الوارث، وتعرف أسرته بتفوق
الحاكم العسكري السابق، الذي يضحى إذ ذاك (شيخ الباب) أيضاً.

• نغالبد تتعلق بشيوخ الرولة •

كان الشيخ العام للرولة كلهم يتحدوه، طغياً للعرف، من عشيرة الفمقة. وكان شعلان
ابناً لأبوين وجيهين. ومع أنه لم يك بملك لنفسه من قطمير، فقد كان مسؤولاً عن رعاة عشيرة
آل مرغط بصفة (فداوى) أى : خادم حر. وكانت النطعمان شرعي في ضواحي إحدى
المنطونات في حد ذات مرة، تهب الفمقة قطعان الصان والمعر من الحضر، وساقوا إليهم
عبر حفوفهم. فانتطلق الحضر نحو إبل القوم ونصواها، وغيزوها في باترين النخيل المسورة.
فأحاط الرولة بالمنطقة، لكنهم لم يتمكنوا من تحطيم وسائل الدفاع، وهدد الحضر الرولة بأن
الآباعر المحتنزة ستفنى جوعاً إن لم يرفعوا الحصار. لذلك حشد شيخ الرولة العام للسلم،
وعرض الصلح على أكبر الحضر سناً. فأعلن الشيخ أنه لن يباحث في الأمر أحداً سوى
« شعلان » الذي كان يعرفه، ولن يتجلى الآباعر إلا له. فدعا الشيخ العام شعلان له،
وقال :

- إن صديقتك، كبير الحضر، لن يخلّي سبيل الإبل إلا لك، فامض إليه واتفق معه باسمي.
- أنت شيختنا، ولك الأمر، ولك الرأي.
- إمضين إليه عاجلاً، واتفقن معه باسمي !
- لن ننفذوا ما أترّمه معه من اتفاق !
- سننقله !
- استعبدون إلى الحضر الشاء، والمغز التي استولنهم عليها ؟
- نعم سنعبدها !
- فلنبحث ممثلي عشيرتي الفرجة والریشان ليكفلوا بذلك.
- أنا، فلان، أضمن بأن الفرجة لن يسمحوا بأن يُقطع للحضر خبط واحد !
- أنا، فلان، أضمن بأن الریشان له يسمحوا بأن يُقطع للحضر خبط واحد !
- حسناً (زَيْنُ)، أعطني الآن خنمك !
- لأي شيء، فريده ؟
- كيف أستطيع أن أسوي أي أمر باسمك بدون خنمك ؟

ناشد ممثلو (الفرجة) و (الریشان) الشيخ بأن يسلم شعلان الخنم، ونم ذلك ؛ وذهب شعلان إلى الرجل، وتوصل معه إلى اتفاق أعاد الحضر بموجبه الأباعر المحنجرة (أدوا التواقص)، ونسلموا ضانهم وبعزهم، وتخلّوا عن المطالبة بالتعويض عن الغنم الذي أفسد. وأثنى الجميع على شعلان، وقالوا : إنه لرجل شهيم (صاحب المُرْجَله).

و (صاحب المُرْجَله) يجب أن يكون ذا قلب جريء (قلبه فاوي)، وأن يكون له عقل حاذ الذكاء، لينقلب على الصعاب (راعي قتل)، وأن تكون له دارية بالأسور واسعة (له عُرْف)، وأن يكون بعيد النظر؛ في المستقبل (شوفة تبعيه)، وأن يتحلل بالأنساء والصبر (له ضمير).

ظل شعلان في المنسوطنة، ولم يُعد الخنم للشيخ العام، وآزره الحضر والفرجة والریشان. وبعد أربع سنوات أطاح بالشيخ العام، وتولى هو قيادة مصير الرولة عن بكرها أبيهم. وقد نلا ذلك صراخ على الأحفاد بالتراسة بين الشيخ العام (ابن شعلان) ووؤلّبه، وبين

الشَّرِيفِي شَبَحَ الْكَوَاكِبَ . وَهُمْ مِنْ مَحَدِّ قَحْطَانٍ مِنْ عِزِهِ . وَكَانَ الْكَوَاكِبُ أَصْلًا مُسْتَفْرِينَ فِي مَحَدٍ . وَتَقَدَّمُوا نَحْتِ إِمْرَةٍ شَبَّهَهُمُ الشَّرِيفِي إِلَى أَرْضِي الرُّوْلَةِ ، وَصَرَبُوا بِبُؤْنِهِمْ إِلَى الشَّرَفِ مِنَ الْحُيُوفِ . وَأَرَادُوا التَّمَنُّعَ بِالِاسْتِظْلَالِ النَّامِ (الْعَمَالُ وَالْقَوَالُ هُمُ) ، لَكِنَّ الرُّوْلَةَ أَعْلَنُوا أَنَّ عَلَيْهِمْ إِمَّا الْخَضِرُوعَ لِسُلْطَنَتِهِمْ أَوْ الْإِنْسَحَابَ . فَانْغَدُوا مَعَ شَمْرِ وَالظُّمَيْرِ وَقَامُوا بِغَارَةِ عَطِيمَةٍ عَلَى الْمَسَائِلِ الْمَحَاوِرَةِ الْمَوَالِيَةِ لِابْنِ شَعْلَانَ . وَتَوَلَّى فَبَادَتْهُمْ أُنْثَى الشَّرِيفِي السَّعَةِ . وَكَانَ مَعَ الشَّرِيفِي إِذْ ذَاكَ ، رَحْلٌ مِنْ عَشِيرَةِ الثَّرَجَةِ اسْمُهُ (عَمِي) بِعَمَلٍ رَاعِبًا لِلْإِبِلِ . وَفِي اللَّيْلِ ، بَعْدَ ذَهَابِ الْمَحَارِبِينَ ، قَالَ لَهُ الشَّرِيفِي : « أَيُّ رُوبِلٍ أَنْتَ يَا جَمِي ؟ تَتَعَشَّى مُطْمَئِنَّةً ، وَفَوْقَكَ مَعْرُضُونَ لِلْمُسْحَقِ ؟ » . فَحَاسِبَ عَمِي : « الْمُسْحَقُ كَاتِنٌ » . وَبَعْدَ أَنْ فَرَعَ مِنْ عَشَائِهِ اضْطَجَعَ ، وَبَكَتْ حَتَّى نَامَ الْغُومُ جَمْعًا ، فَتَوَضَّعَ الرَّجُلُ عَلَى أَسْرَعِ التَّوْفِ ، وَانْطَلَقَ بِأَفْصَى سُرْعَةٍ إِلَى قَوْمِهِ ، مَحْدَرًا هُمُ ، وَتَحْتَاطُ خَيْطَةَ الْعَدُوِّ . فَأَخْفَى قَوْمُهُ قَطْعَانَهُمْ فِي وَادٍ أَمِنَ ، وَنَحَوَا أَكْبَاسَ الْجِلْدِ الَّتِي أَوْدَعُوها دُرُوعَهُمْ ، وَنَاقَبُوا لِلنَّفَالِ . وَكَانَتْ قَدْ لَقَّتْ عَلَى الدَّرُوعِ أَوْرَاقَ نَبْتٍ ذَابَتْ حُرُوفُ فَوْيِّ نَسِي (جَعْبَدِهِ) حَتَّى لَا تُقْبَذَ قَطْعُ الْمَعْدِنِ الْأَكْبَاسِ الْجِلْدِيَّةِ ، وَلَسَلَا تَأْكُلُ الْبَقَّةُ وَالْأَرَضَةُ الْجِلْدَ .

وَلَمَّا لَبَسَ الْمَحَارِبُونَ دُرُوعَهُمْ نَفَّضُوا مَا حَوْفَهُمْ بِرِائِحَةِ الْجَعْبَدِ . وَخَرَجُوا ، بَعْدَ مُتَنَصِّفِ اللَّيْلِ ، مِنْ مَخِيْمَاتِهِمْ رَاكِبِينَ مَتَحِينَ إِلَى بَقْعَةٍ مَعِينَةٍ فِي الْخَهَةِ الَّتِي تَوَفَّعُوا أَنْ يَأْتِيَ الْمَحْصُومُ مِنْهَا . ثُمَّ نَزَعُوا عَنِ الْإِبِلِ رِحَالَهَا وَأَعَادُوهَا ، وَأَحْمَعُوا الرُّحَالَ - مَالِحًا - ، وَاحْتَلَوْا الصَّخُورَ الَّتِي تَكَادُ تَحْبُطُ بِحَوْصِ فِي عَشَبٍ وَفِي إِحَاطَةِ السُّوَارِ بِالْمَعَصِمِ .

وَبَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ سَاقَ الرُّكَاثَ وَنَحَوَ صَائِتِينَ وَحَسْبِينَ مَعِيرًا أُخَرَى دَاخِلَ هَذَا الْحَوْضِ لِيرَعُوهَا . وَصَدَحُوا بِأَنْشُودَةٍ مُرْجَةٍ لِيَسْتَرْعُوا انْتِبَاهَ حَبْرَةِ الْعَدُوِّ .

اِكْتَشَفَ الْعَبِيدُ الْفَطْعَانِ ، وَأَتَيَاوُا بِهَذِهِ الْخَفِيفَةِ أَبْنَاءَ الشَّرِيفِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ أَمَرُوا بِأَلَا تَهَاجُمَ الْفَطْعَانِ . فَامْتَنَعُوا الْمَحَارِبُونَ صَهَوَاتِ حَبَادِهِمْ سُرْعَةً خَاطِفَةً ، وَخَرَجُوا غَدَاؤًا إِلَى الشَّعْبِ الْمُوَدِّيِّ إِلَى الْحَوْضِ . كَانُوا أَتَيْنَ مِنَ الْخَنُوبِ الشَّرَفِيِّ ، وَكَانَتْ الرِّيحُ هَابِئَةً مِنَ الشَّمَالِ الْغَرِيبِ . وَعِنْدَ دَنُوعِهِمْ مِنَ الشَّعْبِ صَاحَ بِأَبْنَاءِ الشَّرِيفِي السَّبْعَةِ شَمْرِيٌّ يَمْتَلِئُ جَوَادًا نَشْطًا : « أَشْمُ رَائِحَةِ (جَعْبَدِهِ) ! أَشْمُ رَائِحَةِ (جَعْبَدِهِ) ! الْفَرَارُ ! » .

- كَذَّاب ! مَنْ أَمِنَ لَكَ أَيُّ (جَعْبَدَةٍ) هُنَا ؟

- لَعْدَ أَنْتَقَى الرِّيحَ بِرِائِحَةِ (الْجَعْبَدَةِ) ! الْفَرَارُ !

ثم انصرف ولاد بالفرار، وهرب معه مشلان أصغر الأبناء السبعة . وسار سائر الأبناء مع الكواكبة جميعاً ومعظم شمر والظفر عبر الشعب داخل الخوض، وثبتوا على منون خبلهم . وفي الحال احتل الرولة الشعب وسدوه، وأحاطوا بالعنود . ونلا ذلك قتال عفيف .

وكان الذين برز تميزهم في المعركة أكثر من سواهم من الرولة هم : الشريفي بن مشهور . ومجول آل مجول، وفهيد بن متهل . وسقط أبناء الشريفي السنة جميعاً صرعى . ولم يبق من سائر الأعداء إلا بضعة محاربين التمسوا الحيلة بالفرار على أقدامهم ، لأنهم لم يكونوا يستطيعون الخروج على ظهور خبلهم بسبب الصخور .

وبعد أن تخلص الرولة من الفارين، شدوا الرحال على نوفهم، وأعادوا على شمر والظفر الذين كانوا يجرسون الإبل والماء والمؤن . فلم يبق منهم سوى عشرة رهط، وبات القاصون جميعاً بين قنبل وأسير . ولم يسلم من الكواكبة كلهم إلا مشلان ابن الشريفي الأصغر، فقد انطلق به شمرى على بعيره، الذي كان فائق السرعة، نحو محم أبيه . ولما دخل البيت فعد جانباً مع مشلان . وبعد برهة سأله الشريفي :

« ما الأخبار (العلم) ؟ »

« لا أخبار (ما من علوم) . »

« والله لئن لم تحسروا بالأخبار لأفطعن وأسك الآن ! » والله أبا ما علمني لا أفطعن راسك بالسيف ! »

لم يلق الشريفي على ابنه مشلان ولو بطرفة واحدة أو بتقاطعه .

وبعد أن نص الشمرى عليه الفصص . وألفه ما خاض نتيجة المعركة . قال :

« يا الشريفي . ألا ترى حبيب عينك ؟ »

كان الشريفي صائناً . وبعد قليل دعا زوجته أم الأبناء السبعة جميعاً . والتي كانت قاعدة وراء الحاجزة . وقد سمعت الأخبار كلها . وسأها : « يا رابعة بيتي ! أين مشلان ابنك الأصغر ؟ » ، فأجابته . وهي تنظر إلى مشلان : « لم نخبل ، ولم نلذ ، ولم يأتنا ابن اسمه مشلان ! » . « لا حقتنا . ولا ضيقنا . ولا جفنا . ولا اسعة مشلان ! » .

نرح مشلان مطقة الكواكبة ، ولم تقع عليه هناك عين أبداً . أما أمه زوجة الشريفي ففصت نجهاً أمي بعد ذلك بقليل .

وفد أراد الكواكبة وشمر أن يحسوا عاز هزيمتهم المكرة ويتغنوا . فرحضوا في العام التالي على الرولة، وسبغز في هذه الحولة نهائياً من بنعي أن يحكم، لذلك رحف الكواكبة مع أسرههم وبونهم وفطمانهم، وأقاموا معسكر حرب (مناخ) ضد الرولة الذين كانت بيونهم قد صربت حول آبار (جو مغبيرا) و (النخوعا) أو (الحلاه) شرق مسنوطنة سكاكا.

وفد سبق أن احتل الرولة الآبار كلها، وأراضي واسعة نسباً حولها من قبل. وقام الكواكبة مع شمر بعدة محميات على حي الرولة، لكنهم كانوا يضلون في كل مرة.

أما الرولة الذين كانوا تحت إمرة القائد (عبيد الحرب) المشهور عبيد بن مغل، فلم يكونوا يقومون بهجوم أبداً بل يضعطون على حصومهم، ويسدون منهم شتاً فشتاً حتى لم يعودوا قادرين على الاستقاء من أي مكان. ولم تقتصر مقاساة الفطما على الجواتات بل شملت الناس أيضاً. وفد عانى النساء والأطفال بحاصة. وكان الكواكبة يندمون بعبراً لفناء الدلو الواحد من الماء (نحو عشرة لترات)، وكانوا يبحرون الإبل، ويتغنون بما في أحوافها من ماء.

وكان للشريفي ابنة اسمها (قوت) جمعت بين الحسن والجرأة. وفد ضررت، بعد أن استشارت نساء الكواكبة الأحرار، أن تذهب (بوجه) أمير العدو فهيد إلى بشو (مغبيرا) طلباً للماء. فاعدت النساء الفرب ووصعن على الجمال، وركبن إلى بيت الشريفي ليشحن ابنته قوتاً في رحلتها للعابرة. فلما استوت على من بعبرها هتعت : « يا فهيد . يا فهيد . فلنعلم أنني أركب (بوجهك) تحت حمايتك » . وكانت السوة اللواتي يرافعنها يرددن هذه الكلمات بعدها. ولما رأى حراس الرولة أن أكثر من ألف ناقة تدنو، نفودها أمراء، ونركبها نساء، نسوا، لفرط دهشتهم، إبلاغ قادتهم بالخبر، وانظروا اليروا ماذا يجري.

ولما دنت قوت سبحت سائت على مسمع من القوم هتعت : « يا فهيد . يا فهيد . فلنعلم أنني أركب (بوجهك) ! » يا فهيد نرائي بوجهك ! » . فسمع الحراس ذلك. واسطلق الفئبة الصغار منهم نحو الإبل المقبلة، وعلى الرعم من صوت كيارهم المحذر، فبصوا على حبر الإبل والنساء القاعدات عليها. وانطلق من المخيم شبان آخرون، وغلال ساعة أصبحت حاشية قوت كلها عتبة لمحارين شتى.

لم يك فهيد حاضراً في المُسكر، فند حرج في جولته على المُطرفة المحيطة به.

ولما سمع عبثه المُسكُ قوتاً تعلن أنها ركبت (بوجهه) فهيد، وصع شراً على أسرع جواد لديه وامتناعاً، وانطلق لينسى سبده، فلفه غير بعيد لأنه كان عائداً لِنُو.

وما أن علم فهيد بأن قوتاً قد ركبت (بوجهه)، وأنها تعرضت للثب والسبي حتى استولى عليه غبط شديد وغتق، وأطلق صيحة حرب مندوية معلناً أنه سيحرق فيل شروق شمس اليوم التالي، كحل بيت يجد عنده إبلًا لحاشية قوت. ومن يرغب في النجاة من هذا العقاب عليه إحضار ما سرق من أباغر مع كامل هديها، وما سقى من نساء، أمام بيته قبل أقوال الشمس.

وركب قوم فهيد وعبيده، دون تزيث، وطافوا بالأحباء، وأعلموا الناس بما طلب.

ومضى فهيد نفسه هو وأكبر عبيده إلى البيت الذي نقيم فيه الأسيرة قوت. وأمران يُشد الرُحْل على ناقنها، وطلب منها أن تحل ضيفاً عليه، وقادها نحو بيته، حيث خصص لها فيه أحسن مكان.

وبناء على أمره، ذبح عبيده خمسة جمال، وأعدوا وليمة عشاء كبرى لغروب ولكل ضحيتها من النساء اللواتي اجتمعن بها قبل غروب الشمس.

ولم يفقد معبر واحد، ولا فربة واحدة، ولا زحل واحد. وفام عيد فهيد وأقاربه يسقون الإبل، ويملاون القرب المُلبل كله، وبعد غروب الشمس أخذها النساء، ومضين راكبات مع قوت إلى أسرهن العطشى.

وقد رافق فهيد قوتاً حتى ماتت على مرمى حجر من بيت أبيها.

وكان الماء المحلوب كافياً خمسة أيام. وبعد ذلك شرع الضبية يكون من جديد طلباً للماء، وتهاوت إبل كثيرة فينه عطشاً. فطلب النساء من قوت أن تذهب ثانية من أجل الماء، لكنها لم تستجب، ودعت إلى عقد السلام مع التزولة. وتحت إصرارها بعث كبار الكواكية رسلاً إلى فهيد يحمل طلباً للسلام، وقدم للتزولة نصف قطعانهم، فوافق فهيد، وتوصل إلى حل سلمي.

ونعرف هذه الحرب العسيرة بـ (مناخ الضيرين) أي: معركة المجاعين.

أما شعره، حلماء الكواكبة، فلم يفلوا الانفاق، وهدوهم بالحرب ففر الشريفي عتدياً أن يعترف بسلطة التزولة ويضم إليهم انضماماً تاماً. ونزوجت ابنته غوث فهيداً، وأقام كواكبته مع التزولة في حي واحد.

وظل بيت الشريفي بعد انتقال غوث إلى فهيد ملا امرأة مسؤولة عنه. لذلك وضع الخواري تحت إمرة أرملة محارب شعري كان قد سقط في الميدان. حامت الأرملة لبيته بأزواق كثيرة. . رَبْدٌ وعَمٍ وأَزْرُ، وقالت له: - نزوجني وسأخدمك ليل نهار. - حسناً سأرى.

وكانت المرأة الشمرية تصنع له وجبات طعام شهية، وتنظم البيت، وتحت على النزوح بها. لكن الشريفي تحبها. ولما كان عيماً مع التزولة في (التفره) إلى الخنوب من دمشق، حاء بنته بفناء من أقاربه (بنت عم له) وأدخلها بيته. ولم تَعُ الأرملة الشمرية بكلمة؛ لكن لما استطاع الشريفي، في اليوم الثاني، في وقت الضلولة الحارة، أحدث مذبة وحيت بها مذاكيره، ثم هرت إلى بيت بعدي حيث طلبت الحماية (فدخلت عليه). مرافها صاحب البيت إلى خافلة كبيرة ماضية نحو لحد، ووصلت أهلها سالمة.

وتدل سيرة التزولة التاريخية أن قسم (ضنا مسلم) كانوا قديماً مقيمين في ضواحي خمير، حيث ما برحوا يملكون محبلاً (جلال) في وادي (الجلال). ويقال إنهم انتقلوا من هناك إلى الشمال. وكانت أول قبيلة مهاجرة هي (الحبيبة) التي بنحدر شجها من عشيرة ابن ملجم، وقد وكلت إليه إدارة طريق الحج من دمشق حتى العلا. وكان ينسب من الحكومة مبلغاً كبيراً من المال لقاء ذلك. وما فتئت عدة أسر من (ولد سلیمان) و (ولد علي) تملك نخيلها في واحة خمير. وللمسرحين التابعين لقبيلة السنيغة. والذين يخضعون لشيخ عشيرة (أبو شامة)، فلا حوهم هناك.

وكان قائد التزولة (شيخ الشداد) في أوائل القرن التاسع عشر من عشيرة (السوالمه)، وكان اسمه الذريعي بن جندل^(١).

وقد أزر بطن ابن بنته من عشيرة الرُحَظ الرويلية الوهابيين (كذا) الذين انتصر الأمير محمد بن علي على خصمه عبدالله بن وشيد معونتهم، وأخرجه من مستوطنة حائل مدة. وثلك أسرة ابن بنته أبار (الحبيكة) و (الشعبي) القامة

ولما تبعت ذلك ثورة عامة ضد الوهابيين (كذلك) أبلت عشيرة ابن شعلان من المرفط بلاداً حسناً. وكان على رأس العشيرة نائب، وهو ابن لعدنانة من شعلان الذي أخذ القيادة من عشيرة ابن جندل في الحرب، وكان له سبعة أبناء، ماتوا جميعاً مبنات عبيد، وحاصر الشيخ العام بعد وفاة (محمد) الذي خلف أباً واحداً هو (سظام).

وقد كسب فيصل، الابن السادس لنائب، شهرةً طفت بالأفاق. وثبت سلطة الترولة حتى جنوبي دمشق في إقليم (الجندور)، أو كما يقولون، في (الخرى). وحارب (ولد علي) تحت قيادة محمد بن فؤجي بن سمير. وقد شاء عدد من شيوخ قبيلة الترولة مثل ابن بوجل، وابن جندل، وابن محمد أن يتحالفوا مع (ولد علي)، لكن فيصل أحبط خططهم. وقتل فائدهم بترجس بن مشهور عام ١٨٥٩م بيده، وسرعان ما هزم حلفاء محمد عن بكرة أبيهم بعد ذلك قرب مستوطنة بصرى.

ولم يكن فيصل يتوقف عن شن الحروب. وكان يتصر فيها، فأسى سيد شمال بلاد العرب الأكبر، عبر أنه لقي مصرعه في ١٤ يناير سنة ١٨٦٤م، على يد طائي شار بوجس (بن مشهور)، ومها أبو، هار، وابن أخيه حمدان^(١٨).

وكان الشيخ العام الآن [أي بعد موت فيصل] هو طلال بن فيصل. وكان القائد العسكري حمزة بن بنية. وقد تميزت فريداً بين المحاربين سظام بن حمد من شعلان، وهزاع بن نائب السامع والأخير. وكانت زوج هزاع هي ثعلا ابنة الشيخ فايز بن حنبل، التي ولدت ابنته النوري (فهد). أما ابنة محمد فأنجبت أم أخرى. وبعد وفاة هزاع تزوج سظام أرملة التي أنجبت له مشعلاً فبها بعد. وتزوج سظام من حمد، عن حب، (توكبه) وهي من أسرة (ابن فهد) التي انحدر منها شيخ مشايخ القدهان. لقد ولدت له ولديه (خالد) و(عبدوح). وفي سنة ١٨٧٧ — ١٨٧٨م كان سظام قد أضى شعباً عائلاً لمشايخ الترولة^(١٩).

وفتوى سظام عام ١٩٠٤م، وقد نصب فهد بن هزاع خليفة له، لكنه اغتيل، على أبة حال، بنحربض من أخيه النوري^(٢٠).

• النوري بن شعلان •

يسمى الترولة رئيسهم العام، أو أميرهم (شيخ)، و (شيوخ)، أيضاً. وقد يسمعون المرء عبارة «نبيت على الشيوخ وهو كان ناهم» أي: أثبت الشج وكان نائياً.

والشيخ العام النوري بن شعلان يعلن الحرب، ويعتد الصلح، ويتكفل، تحت نظام الحكم التركي، بالضريبة التي تطلبها الحكومة من التزولة خلال إقامتهم السنوية في النقرة. وقد دفع في عام ١٩٠٧م مبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة ليرة تركية (١٥٧٥٠ دولاراً)، وفي عام ١٩٠٨م مبلغ ألفي ليرة تركية (٩.٠٠٠ دولاراً) فقط لأن عشائر عديدة من قبيلة الكواكبة هاجرت إلى العراق.

وكان النوري يزيد الضريبة النصف، ويوزع النصف حصصاً بين مختلف الشيوخ الذين يزيدونها، بدورهم، ويخون من مالكي بيوت الشجر المختلفة حصتهم حسب عدد إبلهم.

وبعد حين، كان يخرج النوري، أو ابنه، ركباً مع عبيده إلى مختلف الشيوخ، ويجبي الضريبة. ويعاقب الذين يهربون ولا يؤدونها، إذا قبض عليهم، بأن يفرموا بعيراً. وكان الأمير يحول الضريبة المحببة بموعدها المحدد إلى الحكومة، ويحتفظ بالنصف الذي أضافه. وكان يدفع، من هذا المبلغ، مخصصات إلى أفراد الأسرة الحاكمة وبعض الشيوخ، فوزعت للبائع التالية:

- لخالد بن سظام ١٥٠ ليرة تركية (٦٧٥ دولاراً).
- لبلذوب بن مجول ٢٠ ليرة تركية (٩٠ دولاراً).
- لفهد بن مشهور ٥٠ ليرة تركية (٢٢٥ دولاراً).

وكان يعني لنفسه مائة وخمسين ليرة تركية (٦٧٥ دولاراً) في الأقل. وكان يبيع، بالإضافة إلى ذلك، ثلاثة حياض أو أربعة، وثلاثين أو أربعين بعيراً أسوياً.

ويشترى الأمير لحبله، التي يتراوح عددها بين ثلاثين وخمسة وثلاثين، خمسة أحمال شعيرة. ثم كل جمل ليرة تركية واحدة (أربعة دولارات ونصف)؛ ويشترى أربعين حمل دفيق لضبوفه وعبيده وأسرته، سعر الحمل الواحد أربعين مجدية (٣٦ دولاراً) وعشرين حمل فصح، ثمن الحمل خمس عشرة مجدية (١٣.٥٠ دولاراً) وستة أحمال بزغل، ثمن الحمل ليرتان تركيتان ونصف (١١.٢٥ دولاراً) وثلاثة أحمال من الأرز. ثمن الحمل أربع ليرات تركية (١٨ دولاراً) وحمل ونصف ثمن، ثمن الحمل مائة مجدية (٩٠ دولاراً) وحملين شكر، سعر الحمل خمس ليرات تركية (٢٥ دولاراً) وزيد بمحس وخمسين ليرة تركية (٢٧٤.٥٠ دولاراً) ومائة حروف أو نعجة. في الأقل لتؤكل. ثمن الواحدة ثلاث مجديات (٢.٧٠ دولاراً).

دولاراً؛ وخمسة جالء لنؤكل ثمن الواحد منها عشر ليرات تركية (٤٥ دولاراً)؛ وملابس وأغطية لتكون هدايا لأسرته وعبيده نكلف مائة وثلاثين ليرة تركية (٥٨٥ دولاراً).

ولديه ثمانون بندقة. ويحتاج كل عام ستة آلاف طلقة في الأقل من الذخيرة بما يساوي ما بين عشرة بشتاب واثني عشر لكل طلقة.

ويكلف إصلاح البيوت وصيانة مواردها وجبالها خمسين ليرة تركية (٢٢٥ دولاراً) سنوياً.

وعليه أن يرسل، من حين إلى حين، حمائل لشيوخ العشائر، وأن يطعم عشرين شخصاً يومياً في المتوسط.

وعاقب الأمير الخارجين عن الطاعة أبنا وحدها وكفها استطاع. فقد رحل، ذات مرة، (جُنبور) أحد شيوخ الفرجة مع عشيرته، لما حان حين عذ الإبل لتقدير العدد الذي ينبغي أن يُجس من كل شبح صربية. فأرسل إليه الأمير السوري أن يحضر دون ألف نكوة لكنه لم يحضر ذلك لأن صاغية، ولم يأت إلى النوري من نلفاء نفسه إلا بعد ستة أشهر، فقيّد حالماً وعسل بغيره كغيره أبدي الحبل ولث مقبداً شهراً تاماً.

ونظطر القبيلة الأصعب إلى الاعتراف بغزو القبيلة الأقوى. وتؤدي لها ضريبة خاصة تعرف به بـ (الحوة). ويجبي الترولة الحوة من (هَنَم) كلها، ومن سكان غرى كثيرة مختلفة أبصاً. وكلها كانت الحكومة أنوى قلت الغرى التي تؤدي لهم (الحوة). وتؤدي (القرينين) و (تُدثر) و (السُخن) و (كُشم) و (الطيه) الحوة بانتظام.

ولكل مستوطنة و قبيلة مؤدية للضريبة أخوها (أخ) أو (عاري) عند الرولة، تؤدي له نحو خمس وعشرين مجدية سنوياً. والأخ ملزم بأن بعيد للمستوطنة الممتلكات التي يهبها رجال فيلته منها كلها. وأصل (الحوة) هو (الفوة). ويجبر الأقوياء مستوطنات عديداً على أداء الحوة لهم. وأما أولئك الذين لا (أخ) لهم فعليهم الاعتماد على السبب المشهر (سبب طابل) وحده.

ويجب أن تجبي من يسلمون الحوة أولئك الذين يؤدونها إليهم. أو كما يقول الرولة: «اللى باكل الجدى يخنى أمه» أى: من أكل الجدى خنى أمه.

● التعليقات ●

★ هذا هو الفصل الثالث من كتاب (أخلاق عرب الرولة وعادتهم) الذي يقوم بترجمة القسم الأول منه عن الإنكليزية، ويقوم بترجمة القسم الثاني الدكتور عبد الله عبد الزيدان. وقد نشرت (الدارة) الفصل الأول منه في العدد الثاني من السنة العاشرة، الصادر في المحرم سنة ١٤٠٥ هـ على الصفحات : ١٣٠ - ١٥٢ .

(١) كلمة (ولد) قد يفصد بها (فنى) أو (رجل) .

(٢) نترجم المؤلف العبارة هكذا : « بلادهم واسعة ، وسيطردون عدوهم بعيداً جداً عن حيزهم » .

(٣) (روبي) و (روبلة) هي النبة السائرة لـ (رُوْلَة) ، واستخدمناها مع أن الأنصح : رُوْلِيَّة ، و رُوْلِيَّة .

(٤) نترجم المؤلف هذه العبارة هكذا : « الأولون - أي الأعمام - يزودون [المره] بالنشاط المعنوي والقوة ، والآخرين - الأخوال - أرحامهم !! » .

(٥) من النقائيد المعروفة في البداية حماسة المسجير . . . ويتم ذلك عادة إذا أعلن أنه (يوجه فلان) فلا يمه أحد بسوءه . وإن أؤذي أو استولي على مال له تولى الحار عقاب من آذاه ، ورد عليه ماله من مقتنيبه .

(٦) Alois Sprenger, Ein Beitrag zur Statistik von Arabien, in Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Vol. 17, Leipzig, 1863, p. 226.

(٧) Carlo Guiraud, Il Neged Settentrionale, Jerusalem, 1866, pp. 196-198.

(٨) W. S. Blunt, A Visit to Jebel Shammur (Nejd) New Routes through Northern and Central Arabia, in Proceedings of the Royal Geographical Society, New Monthly Series, Vol. 2, London, 1880.

(٩) Alois Musil, Arabia Deserta, New York, 1927, pp. 238-241.



• آل وأهل •

يقول الرواة إن قبيلتهم تعرف بـ (قبيلة) أو (بديدة) أو (عشيرة) الرواة . ولكلمة (عشيرة) معنى (بديدة) أو (قبيلة) نفسه . ويشار إلى العشيرة ، وأحياناً إلى الأسرة ، بكلمة (آل) التي غالباً ما بدلت بها الأداة (آل) ، مع أن كل رويل يعرف معنى الكلمة الأولى ؛ وتدل كلمة (آل) عموماً على ما تبدل عليه (بني) أو (ابن) ، ومعناها أوسع من معنى (أهل) . ومعناها أوسع من معنى (أهل) .

و (فريق) هو الاسم الذي يطلق على جماعة من الأقرباء الذين يحذرون من جد واحد . و (الفريق) أوسع أيضاً من (الأهل) .

و (الأهل) جماعة محددة بالنسبة للفرد وحسب ، فأهل الرجل يختلفون عن أهالي أبيه أو ابنه (مع أن الأهالي الثلاثة في هذه الحالة يضمون أفراداً كثيرين مشتركين) . ويؤلف أهل الرجل خلقة حتى الجيل الثالث - أي أبنائه أو أحفاده وأحفاد أبنائه - ويتضمنون أيضاً سلفه حتى الجيل الثالث - أي أباه وجده وجد أبيه - . ومن ينحدرون من هؤلاء الأسلاف حتى الجيل الثالث من كل .

والنسب معدود عبر سلسلة الذكور وحسب . وإن أبعد الفروع التابعة لـ (أهل) المرء هم أبناء ابن عم أبيه .

وثمة طريقة ميسرة لتقرر فيما إذا كان (من) من الأهل أنفسهم الذين منهم « ي » و « هي » أن نعد من « من » حتى الحد المشترك لكل من « من » و « ي » ، ومن هناك نبدأ في العد التنازلي لـ « ي » . سيكون « من » و « ي » (من) (الأهل) أنفسهم شريطة ألا يُعد بين « من » و « ي » أكثر من ثلاثة أجيال أيضاً .

ونفسر فكرة (الأهل) هذه معرفة البدوي بجد أبيه ، في حين من المرجح أن يكون على جهل تام بجد جده .

وقد أخبرني رفيقي بلهجان بالإبضاح التالي لأهله هو : « أنا ابن ضري الذي انحدر من مضرب . خلف (ضري) داغراً وصالحاً . وخلف داغراً إبراهيم و (بقرى) . وإبراهيم ابن خلفي ، أي بلهجان ، وجيمان ، وغشوان ، بينما كان أبناء بقرى هم : دفران ، ورشد ،